

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية الآداب واللغات والفنون
معهد اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث

بنية الزمان والمكان

في رواية

فوضى الأشياء لـ رشيد بوجدره -

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في : الأدب الحديث (الرواية الجديدة)

لجنة المناقشة :

مشرفاً ومقرراً
رئيساً
عضواً مناقشاً
عضواً مناقشاً

الأستاذ الدكتور عز الدين باي
الأستاذ الدكتور بشير بويجرة
الأستاذ الدكتور التجاني الزاوي
الأستاذة الدكتورة خضرة العابدي

إشراف الأستاذ الدكتور :

باي عز الدين

إعداد الطالب :

مفيد أحمد

السنة الجامعية : 2010/2009

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية الآداب و اللغات والفنون
معهد اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث

بنية الزمان والمكان في رواية فرضى الأشياء لـ رشيد بوجدرةـ

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في : الأدب الحديث (الرواية الجديدة)

أعضاء لجنة المناقشة :

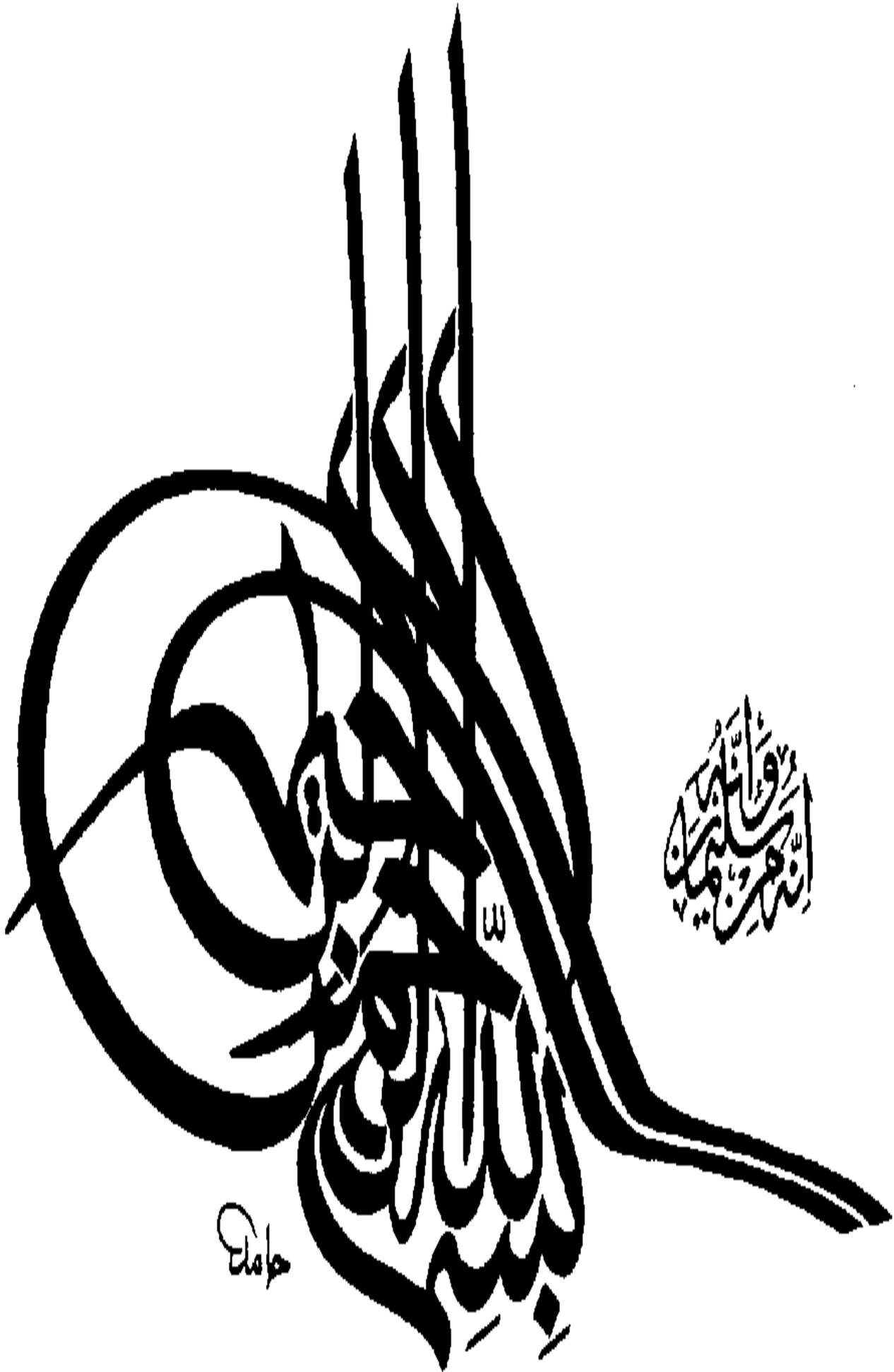
رئيساً
مقرراً و مشرفاً
عضوا مناقشاً
عضوا مناقشاً

الأستاذ الدكتور بشير بويجرة
الأستاذ الدكتور عز الدين باي
الأستاذ الدكتور التجاني الزاوي
الأستاذة الدكتورة خضرة العابدي

إشراف الأستاذ الدكتور:
باي عز الدين

إعداد الطالب:
حفيد أحمد

السنة الجامعية: 2010/2009



الإلهاء

داء

إلى أهل البلدة الطيبة التي أنجبت الرجال ، وما زالت توتتي أكلها كل حين

"اقبلي الحبيبة."

إلى التي وضعت الجنة تحت أقدامها

أمي ..أمي .. أمي الحبيبة الغالية فاطمة.

إلى أرواح شهداء العلم والواجب

أبي عبد القادر ، أخي التهامي ، أخي عبد الرحمان.

إلى التي صبرت وتقاسمت معي أعباء الحياة

زوجتي الفاضلة الزهراء

إلى فلذات كبدي بنتي

عزيزة وعبير

إلى الأخوين : الطاهر ومحمد ، وأخواتي كل واحدة باسمها وإلى أبنائهم

وبناتهم وأزواجهم .

إلى كل من علمني حرفا وأعانني بالدعاء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .

المقدمة



حظيت الرواية العربية - على كثرتها - باهتمام بالغ على المستوى الإبداعي ، كما لقيت أيضا الاهتمام على مستوى الدراسات النقدية التحليلية التي تناولتها ، ودارت حولها ، وهذا لكوّنها امتلكت القدرة على تصوير الواقع ، والاتساع لتناول الموضوعات المتعددة ؛ وهي تحظى اليوم بدراسات أكاديمية عميقة ومتخصصة من قبل الباحثين ، والدارسين يسبرون أغوارها ، ويكتشفون عالمها العجائبي ، قصد جعلها تساير متطلبات الحضارة ، ومعطيات الحداثة .

وتكمن أهمية البحث في هذا المجال بما تتميز به الأعمال الروائية من عناصر الجدة والسرد والوصف والحوار والجمال والطرافة، مما يغري الباحث ويشحذ همته ، ويقوي عزيمته ، وهذا عامل مهم من عوامل عدة نمت في نفسي الرغبة في حب هذا الفن ، والسير على درب البحث في بنية السرد ، محلا ومناقشا لأراء السابقين ، مما قادني إلى اختيار موضوع هذا البحث المتواضع ' والذي اصطفيت له هذا العنوان " بنية الزمان والمكان في رواية فوضى الأشياء" للروائي "رشيد بوجدره" نموذجا.

أما العامل الثاني فمنشأه يعود إلى اهتمامي وعنايتي بالأدب الحديث ، وخاصة فن الرواية ، وهذا لوفرتة وتنوع موضوعاته ، وإعجابي الشديد بروعة السرد ،وجمال الأسلوب ؛ وحسن الوصف ، ناهيك عن ملامسة هذا الفن للواقع المعيش ، ضف إلى ذلك طريقة بنائها المحبكة حبكاً سرديا لا يمكن تجاوزه ، ومن هنا تتبادر إلى الذهن هذه الأسئلة : ما هو

سبب اختياري لعنصري الزمان والمكان ؟ ، ولم رواية فوضى الأشياء؟ ولم الروائي رشيد بوجدره ؟ وتعليبي لذلك يستند لتلك الأهمية البالغة التي يحظ بها عنصرا الزمان ولمكان في بناء أيّ عمل ناهيك عن العمل الروائي ، فهما مكونان أساسيان مركزيان ، وهما متلازمان يكاد يذوب أحدهما في الآخر .

أما اختياري لرواية " فوضى الأشياء " لرشيد بوجدره مرجعه بالدرجة الأولى اهتمامي بالأدب الجزائري ، وإسهاما مني في كشف الحجب عن أعمال بعض الروائيين الجزائريين ، والتي لم تحظ بأي دراسة سابقة ، ولأن "فوضى الأشياء" تمثل فضاءً زمنياً ومكانياً ذا أهمية في الحياة الاجتماعية الجزائرية .

وعليه فإنّ الهدف من البحث في هذا المجال الروائي يتحقق أولاً : بنفض الغبار عن الإبداعات الجزائرية من جهة ، وتطبيق ما وصلت إليه الدراسات التحليلية للخطاب الروائي في بنيته السردية ، قصد الوصول إلى تنظير عربي في هذا الفن، انطلاقاً من ما تميز به الروائيون الجزائريون في أعمالهم الأدبية .

ويكون من الأهمية بمكان الإشارة إلى حقيقة ينبغي التأكيد عليها ، والمتمثلة في تلك الجهود التي قدمها الغربيون في هذه الدراسات ، والتي سارت بهذا الفن قدما نحو التطور، أذكر على سبيل الذكر لا الحصر جرار جنيت ، غاستون باشلار ، ميشال بيتور ، جورج لوكاتش وغيرهم ، وهذا ما يدفعني للإشارة للدراسات السابقة في هذا الموضوع ؛ عند الدارسين العرب ، وهي قليلة خاصة المتناولة لعنصري الزمن والمكان ، إلى جانب ندرة الجانب التطبيقي التحليلي لأعمال الروائية ، وخاصة ما أبدعه الروائيون الجزائريون، والذي لم ينل

الدراسة الكافية في هذا الجانب ، كما أن الدراسات السابقة لم تورد بنية الزمان
والمكان بما لها من دلالة في خلق مستوى سردي ، بل كمرکز لهذا لبناء
السردي ، واهتمامهم بهذين العنصرين من الناحية الجمالية لا التقنية .
ولربّما يكون بحثي هذا بنية صغيرة أضيفها إلى هذا الصرح في تحليل الملفوظ
الروائي الجزائري في جانب بنية الزمان والمكان .

وينبغي أن نشير إلى أن الباحث في ميدان الرواية الجديدة يجد نفسه
محاطاً بجملة من الأسئلة نظراً للأهمية والمكانة البالغة التي يحظى بها
عنصر الزمان والمكان في الأعمال السردية ، فما المفهوم النظري لبنية
الزمان والمكان في الأعمال الروائية ؟ وما هي أهميتهما كمكونان للفضاء
الروائي ؟ وهل توظيفهما في الأعمال الروائية يختلف من الرواية إلى أخرى ؟
وهذا هو محور الأشكال الذي يطرحه هذا البحث.

وعليه فإن فروض حل هذه الإشكالية، يفرض علينا آليات مرتبطة
بجانبيين: جانب نظري وجانب تطبيقي ، ولا يخفى عنا ما للجانب النظري من
ضرورة لتحقيق الجانب التطبيقي، الذي يعتمد على منهجية أساسية سنشير إليها
لاحقاً.

ويجد الباحث في ميدان الرواية بعض الصعوبات، نذكر منها تعذر
الحصول على جملة من المصادر والمراجع المهمة ذات الصلة بالموضوع في
لغتها الأصلية، والتي نتناول الزمان والمكان كمحورين أساسيين في تشكيل
البناء الروائي ، وما كنت أظنّه — في البداية — مهمة سهلة ممتعة مع مرور
الأيام تحول مع تراكم المادة العلمية المجموعة في الجانب النظري إلى مشكلة
حقيقية معقدة ؛ وجدت معها صعوبة في التفريق بين الدراسة البنيوية، و
الدراسات اللسانية ، والفصل بينهما بم يخدم البحث في جانبه البنيوي الزماني
والمكاني .

ضف إلى ذلك صعوبة الظروف المحيطة بي بصفتي غير مقيم بمدينة
وهـران ، الأمر الذي كلفني صرف الكثير من الجهد والوقت، حيث كنت أتقل
بين مدينة تمراسـت مقر عملي ، وجامعة وهـران ، ومن صدف هذا
البحـث أن عنوانه يوحي إلى هذين العنصرين.

وإشارة مني إلى المنهج المتبع في هذا البحث ، فنجده يتكئ على المقاربة
البنويية في تحليلي لبنية الملفوظ الروائي موضوع الدراسة، مستعينا بالمناهج
الأخرى ذات الصلة بالموضوع .

وعليه فإنني حاولت أن أعالج في هذه الدراسة كل ما يتعلق ببنية الزمن
والمكان بكل موضوعية ، مبرزاً أهمية هاتان البنيتان – الزمان والمكان –
في الخطاب الروائي " رواية فوضى الأشياء " مع الاستفادة من كل ما له
صلة بالبحـث من مؤلفات الكاتب مما يخدم بحثي .

وبناءً على هذا فقد ارتأيت أن يكون بحثي بهذا المنهج، وهذا التقسيم إذ
قسمته إلى ثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة، وقفت من خلالها على الدراسة
البنويية الزمانية والمكانية للنص الروائي ، وقد مهدت لهذه الدراسة بمدخل
نظري وضحت من خلاله رويتي لمفهوم الزمان والمكان فلسفياً واجتماعياً
كعنصرين لهما أهمية في الحياة وفي بناء النص الروائي السردى ، ولكونهما
بنيتان متلازمتان .

وهكذا فقد تمحور الفصل الأول حول بنية الزمان دراسة نظرية ، وقفت فيها
عند بنية الزمان الروائي ، ثم النظام الزمني في الخطاب الروائي ، والتداخل
بين الأزمنة في العملية السردية ، وقد تناولت في كل عنوان ثلاثة عناصر أو

أربعة عناصر بحسب ما يقتضيه البحث .

وفي الفصل الثاني تناولت بنية المكان في الملفوظ الروائي دراسة نظرية

أشرت في ضوئها إلى أنواع الأمكنة ومن ثمة علاقة المكان بالمضمون، ثم التشكل المكاني وقد أدرجت تحتها عناصر من ثلاثة إلى أربعة.

أما الفصل الثالث فقد خصصته للدراسة التطبيقية لكل من بنية الزمان والمكان داخل الملفوظ الروائي " فوضى الأشياء " لاعتبارهما حاملان إيديولوجيان يفضيان إلى فهم الخطاب السردي ، فوقفت عند دلالة العنوان بحكم كونها عنصر يؤدي إلى إيضاح مضمون الخطاب ، ثم مستويات الزمان في النص الروائي ، والفضاء المكاني في الخطاب الروائي ، مقسما كل عنوان إلى عناصر أساسية ؛مقتصرًا دراستي على ما أشرت إليه في الدراسة النظرية.

و أخيرا ..ختمت هذا البحث بخاتمة موجزة في النتائج العامة التي استخلصتها دونت فيها دور كل من الزمان و المكان في في فهم نص " فوضى الأشياء " وأيضا ما يحملان من دلالات تاريخية واجتماعية للأمة العربية و الجزائرية بصفة خاصة ، وخلصت إلى أن دلالة العنوان هي مجسدة بشكل أو بآخر من خلال الأزمنة المتداخلة والأمكنة المركبة والمتباعدة .

وعملت على الاعتماد على المصدر الأساسي لاستقاء مادة هذا البحث والمتمثل في نص الرواية ، وعلى جملة من المصادر ذات الصلة بالزمان والمكان ، والمراجع المهمة في السردية الروائية ، والنظريات التي صنفت في هذا المجال ، دون إغفال ما استفدت من المراجع الأجنبية ، وبعض المجالات .

وآمل من خلال هذا البحث المتواضع، أن أكون قد ساهمت في كشف

الحجب عن نص روائي جزائري ، في تحليل خطابها؛ فاتحا افقاً جديد في تحليل الخطاب الروائي مما يساعدنا ويدفعنا نحو تطوير تجربتنا المعرفية والإبداعية والنقدية .

ورجائي أن تتسع صدور السادة أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة
الفاضلين ، لما ورد من نقائص وردت سهو أو نسياناً ، ولتحملهم جهد القراءة ،
ولا يبخلوا علي بملاحظاتهم السديدة والقيمة ، وإثرائهم لهذا البحث بما يخدم
البحث العلمي .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر ، وخالص الامتنان
والعرفان إلى أستاذي الفاضل " عزّ الدين بأي " الذي تفضل
بالإشراف على هذا البحث ، وعلى الرعاية التي حظاني بها مرشداً وناصحاً
ومصوباً ، كما فتح لي صدره ، ونفث في من علمه ما أثلج به فؤادي ، فأفادني
وأنا دربي ، وحرص على توجيهي ومراقبة عملي و تقويم اعوجاجي ، فجزاه
الله عني خير الجزاء ، وجعله الله ذخراً لهذه الأمة أمين .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى قسم اللغة العربية و آدابها
بجامعة وهران ألسانية ، رئيساً وإدارة لما وجدت عندهم من رحابة الصدر ،
وإلى أهل العلم جميعاً من معلمي الأبجدية ، إلى أساتذتي الأجلاء في جميع
أطوار التعليم ، وإلى كل من ساعدني وأرشدني وهداني في هذا العمل من
قريب أو بعيد والله المستعان .

المسند خنل

أهمية الزمان والمكان في بنية الخطاب الروائي :

كان الزمان ولا يزال يثير الكثير من الاهتمام في شتى المجالات المعرفية، بدءاً من زاويته الفلسفية والجمالية ، ولا يخلو مفهومه من الدلالات والأبعاد العميقة الناتجة عن التأمل والبحث في مقولة الزمان في الفكر الإنساني ، ولما كان موضوع دراستي متعلقاً ببنية الزمان والمكان في الخطاب الروائي، ونظراً للعلاقة القائمة بين هذين العنصرين، وارتباطهما بالإنسان وحياته منذ العصور القديمة ، وبمصيره، فما الزمان ؟ وما المكان ؟ وما أهميتهما في الخطاب الروائي ؟ وما العلاقة التي تربطهما معاً ؟

ما الزمان ؟ هذا السؤال الذي حاول العديد من المفكرين البحث في ماهيته عن طريق استقراء الفكر الإنساني ، وعلى الرغم من أن الأمر محفوف بالخطورة، فسأحاول أن أقارب بين الرؤى المختلفة في هذا المجال بين مفهوم الزمان في التراث العربي ومفهومه عند الفلاسفة والمفكرين والأدباء وأيضاً من منظور الدراسات الحديثة .

يذكر صاحب اللسان ابن منظور في معجمه، مادة " زمن " " الزمَنُ والزمَان اسمٌ لقليل الوقت وكثيره ، وفي المحكم الزمَن والزمَان العَصْرُ ، وأزْمَنَ الشيء : طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمَنُ والزمْنَةُ . وقال شَحَم : الدَّهْرُ والزمان واحد وفرق بينهما ابن الهيثم حيث قال : الزمَانُ زمان الرطب والفاكهة

وزمان الحرّ و البرد ، قال : ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر والدّهر لا ينقطع .⁽¹⁾

ويدل الزمان عند ابن منظور على الوقت كما يدل جمعه على العَصْر كما أن الدّهر والزمان شيء واحد ، " والحق أن المعجميين العرب يختلفون اختلافاً شديداً في تحديد مدلول الزمن، فمنهم من يجعله دالاً على الإبان فيَقِفُهُ على زمن الحرّ أو البرد فغاياته ... لا تكاد تجاوز الشهرين الاثنين، ومنهم من يجعله مرادفاً للدّهر " ⁽²⁾ ومن هنا يتجلى لنا تداخل مفهوم الزمان وتعدد استعماله عند المعجميين العرب وفي التراث العربي بألفاظ متعددة كالمدة ، والوقت، والزمان ، والدهر، والعصر .

و يختلف مفهوم الزمن من حيث الاصطلاح والاستعمال عند الفلاسفة عن مفهومه عند المفكرين والأدباء ، فالفلاسفة ينظرون إلى الزمان من " منظورات تتطلق من اليومي لتطال الكوني و الأنطولوجي " ⁽³⁾ و ارتبط عند الفلاسفة اليونان مفهومه بالآلهة ، وتجلت مظاهر الأولوية للزمن في الإيذاة هوميروس حيث كان الزمن معبودهم فاتخذوا له صوراً وأشكالاً مختلفة ترمز إلى الإخصاب والقوة والبطش⁽⁴⁾ ، فارتباط الزمن بالآلهة عند اليونان يجعل من الزمان

(1) ابن منظور ، (لسان العرب) ، المجلد الثاني (ز... ق) ، تقديم عبد الله العليبي ، لبنان ، دار لسان العرب ، بيروت د- ط ، ص 48.

(2) عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية دار الغرب للنشر والتوزيع ط وهران 2005 ص206

(3) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، / ط1 بيروت 1989 ص 61

(4) بشير بويجرة ، بنية الزمان في الخطاب الروائي الجزائري ، الجزائر ج 1 / دار الغرب ب، ط

عنصراً أساسياً في التركيبة العقائدية يؤثر في سلوك الفرد وفي نمط تفكيره ، وبهذا فقد اعتبروا الزمان " حقبة تمتد من حدث سابق إلى حدث لاحق ... ومن ثم يعبر عن مرحلة من السنة ، فترة تاريخية " زمن الحصاد زمن القطاف" " زمن الحروب الصليبية " غالباً بصيغة الجمع لتدل على عصر لا تكون حدوده واضحة المعالم "الأزمة البطولية" ، الأزمنة الحديثة ... ففلاسفة اليونان جلهم يتفقون على ارتباط الوجود بالزمن، مع خلود ماهية الزمن في الحركة كما وكيفاً. (1)

ويدعو المسلمون إلى استغلال الزمان ، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نعته بالأوصاف المشينة ، وعن سبه حيث جاء في الحديث : " وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح وحرمة بن يحيى قالاً: أخبرنا ابن وهب حدثني يونس عن ابن شهاب . أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمان . قال : قال أبو هريرة رضي الله عنه - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عزوجل : "يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار" رواه مسلم. (2)

وأخذ اهتمامات خاصة " تميزت بالتنوع والتحديد اللذين كان لهما الفضل في إعطاء الزمان أبعاداً ثرية عمقت الإحساس بقيمة الفرد ، وأرشدت إلى معطيات

(1) لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الثالث ، تعريب خليل أحمد خليل ، تعهده وأشرف عليه حصرياً : أحمد عويدات ، منشورات عويدات ، بيروت / باريس ، 2001 ط 2 - ص 1433

(2) محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، شرح صحيح مسلم ، ضبط وتحقيق : رضوان جامع رضوان ، الجزء الخامس عشر ، مؤسسة المحتر القاهرة ، ط 1- 2001 ص 05

جديدة رسخت الاهتمام بعنصر الزمان على مستوى نتائجه الإيجابية العائدة على المجتمع والفرد بالأمن والاستقرار نفسياً وفكرياً " (1)

ولا يختلف الإحساس بالزمن عند الإنسان عامة في جوهره ولكن كيفية ذلك الإحساس ، وكيفية التعبير عنه ، هما اللذان اختلفا⁽²⁾ فالإنسان هو الذي أعطى للزمن مظهراً نفسياً مجرداً غير محسوس يتجلى فيما يخلفه من آثار ومظاهر في ذاته ، أو في الأشياء المجسدة فهذا لا يتخذ شكلاً ثابتاً فهو متقلب بين الليل والنهار ، والأمس والغد ، والآن والحين.

ومع الثورة اللسانية أخذ الزمان يتحرر من المطابقة الفيزيائية زمن قيود النحو التقليدي من " خلال ما قام به الباحث اللساني جون لاينز (Lyons) الذي انطلق من التقابلات الثلاثة التي حدد من خلالها النحويون القدماء اليونانية واللاتينية على مستوى الزمن وأقاموا التقسيم الثلاثي : الماضي ، الحاضر ، المستقبل ، وافترضوا لهذا التقسيم طابع الكلية والشمول " (3)

ويرى أن هذا التقسيم غير دقيق ، فالزمان لا يوجد في كل اللغات وهذه التقابلات ليست زمنية محضة ، وأن الذي قاد إلى هذا الاعتقاد الخاطئ هو القول بانعكاس التقسيم الطبيعي للزمن الواقعي على اللغة بالضرورة " (4) فالزمان الطبيعي ينعكس على الزمان النحوي فلحظة الحدث في الجملة ترتبط بلحظة التناظر " الآن " .

(1) د/ بشير بويجرة ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، ص 14

(2) المرجع نفسه ص 26

(3) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص 63

(3) المرجع نفسه ص 63

فتجاوز معجم اللسانيات الذي يستعيد فكرة لاينز عن التصنيف والتقطيع المقولي للزمن، التصور التقليدي لمقولة الزمان من خلال مقابله الحاضر اللحظة الملفوظ المنتج في الآن " اللاحاضر " (Non -Présent) هذا الذي يمكن أن يكون هو الماضي (ما قبل الآن)، أو المستقبل (ما بعد الآن) ، ويتم التأكيد على أن هذين هما الزمان المطلقان ، وبما أن الحاضر هو أيضاً لا ماضٍ ولا مستقبل ، فإن هذا يجعله قابلاً لترجمة حقائق لا زمنية " تدور الأرض حول الشمس " ... للوصول إلى تأكيد التقابل بين الملفوظ و ألكي" (1) .

ومن خلال هذا التطور اللساني الذي حصل في دراسة الزمان ، وخصوصاً مع البنيوية في جانبها الذي يهتم بدراسة الأشكال السردية بصفة خاصة، حاولت أن أدرس هذا النص الروائي وفق ما تثيره بنية الزمان في هذا الصدد .

ومما لا شك فيه أن المكان لا يقل شأناً عن الزمان، فما المفهوم النظري لبنية المكان في الخطاب الروائي ؟ وما أهميته مكوناً لهذا الفضاء ؟ .

ففي معجم لسان العرب لابن منظور " المكان والمكانة واحد ... مكان في أصل تقدير الفعل مفعّل لأنه موضع لكيونة الشيء فيه ... والمكان الموضع . والجمع أمكنة ... وأماكن جمع الجمع" (2) ويفهم من هذا أن المكان هو الموضع الذي يكون فيه الشيء ويقع فيه الفعل .

(1) المرجع السابق
(2) ابن منظور لسان العرب المجلد الثالث (ق . الياء) ص517..

ويرى لالاند إلى كلمة (ESPACE) مكان ، مجال ، فضاء على أنه وسط مثالي ، متميز بظاهرية أجزائه ، تتركز في مداركنا ، ... ويتضمن كل الفضاءات المتناهية " (1) فنجد أن المفهوم الذي يرتبط به المكان أو الفضاء أو المجال عند الفلاسفة هو مفهوم الوسط لأن " الوسط تتحد فيه مواقع كل الأجرام (2) وتعتبر كل الحركات وكل الأشياء التي نميزها بظاهرية أجزائها تؤدي إلى شكله الهندسي الذي يتميز به عن طريق الحواس .

ويرى بعضهم أن هناك مجالاً يمكن إدراكه ، ومجالاً مطلق لا يمكن إدراكه ، وهذا ما ذهب إليه " هوفدينغ " HOFFDING " في " تمييزه بين المجال النفسي النسبي كما يجري إدراكه في القوة الإدراكية ، والمجال الثاني المطلق أو الرياضي وهو تجريد لا يقابله شيء في الحدس ، ويكون وحده مؤتلفاً متصلاً " (3) .

أما " أرنست ماخ " فقد ميز بين المكان الهندسي ، والمجال الوظيفي " المحدود في حقل الإدراك ، والراهن المتميز بالأحاسيس الفوقية السفلية من اليمين ومن الشمال والممتد أفقياً أكثر من امتداده عمودياً " (4) وهو بهذا يعطي المكان مجالاً هندسياً يتخذه في الفراغ ، و مجالاً وظيفياً يدرك بالحواس .

(1) لالاند موسوعة لالاند الفلسفية - المجلد الأول (A-G) ص 362 .

(2) المصدر السابق ص 362.

(3) المصدر نفسه ص 363.

(4) المصدر نفسه ص 363.

وإذا وقفنا عند المكان كفضاء في مفهوم النقاد والروائيين الغربيين فإننا نذهب إلي ما أشار إليه " قولد تشستين " (Gold Einstein) ⁽¹⁾ إلى أهمية المكان الروائي متسائلا " حتى نعلم أهمية المكان ووظيفته يجب طرح ثلاثة أسئلة هي :

أين يدور الحدث؟ وكيف وظف المكان؟ ولماذا اختير وفضل من دون الوسائل الأخرى؟ فالمكان الروائي هو " جغرافية الرواية " فيه تتحدد معالم تضاريسها وتقلبات مناخها الذي تتحكم فيه أفعال الشخصيات وأدوارها ⁽²⁾

فتجعل هذه العلاقة المكان هو جغرافية الرواية، وتربطه مع الشخصيات متحدة فيما بينها لتعبر عن فكرة الروائي وتصوره لهذا العالم الغريب المحيط بنا، مما يكسبه دلالات متباينة فتارة يدل على "المكان الجغرافي" (Espace Géographique) كما يسميه " بورنوف "، ويدل على الفضاء النصي (Espace textuel) كما يراه " ميشال بوتور " (Michel Butor)، ويدل على الفضاء الدلالي (Espace semiantique) كما حدده " جرار جنيت " ⁽³⁾ فهل يدل على زاوية النظر التي يقدم بها الروائي

(1) J.P Gold Eenstein , pour lire le roman cdition .ducu lot .

Paris Louvain La Neuve 1989 Pg 89

(2) IBID Pg 90

(3) إبراهيم عباس ، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية ، (دراسة في بنية الشكل)

،المؤسسة الوطنية للإتصال ، الجزائر ب ، ط ، 2001 ص 31

عمله؟ أم هل يمكن أن تتحد كل هذه الفضاءات مع بعضها على صورة تكاملية وتشكل لنا فضاء العمل الروائي، وهذا ما سنتفق عليه في تناولنا لأشكال الممكنة.

وبلا مندوحة فإن المكان في الدراسات السيميائية الحديثة أخذ مفهوماً سمياً نقدياً، فيرى قريماس (Greimas) أنه هو " الشيء المبنى المحتوى على عناصر متقطعة انطلاقاً من الامتداد، المتصور"⁽¹⁾ فهو بهذا يأخذ شكلاً هندسياً، تتحرك في إطاره الشخصيات، ويمكن من دراسة الملفوظ الروائي في إطاره.

و ما يراه " حميد لحميداني" هو أن الفضاء في الرواية أوسع وأشمل من المكان، أنه مجموع الممكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية، المتمثلة في سيرورة الحكيم؛ سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر أو تلك التي تدرك بالضرورة، وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية، ثم إن الخط التطوري الزمني ضروري لإدراك فضائية الرواية بخلاف المكان المحدد، فإدراكه ليس مشروطاً بالسيرورة الزمنية للقصة"⁽²⁾.

ولا يعني هذا أن المكان ليست له أهمية أساسية في النص الروائي، بل إنه عنصر أساسي في نقل وضعية الأحداث، لأن كل فعل لا يمكننا أن نتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني.

(1) د/ عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية ص 186

(2) د/ حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المغرب، المركز الثقافي

العربي الدار البيضاء ط3 2000 ص 63

ونخلص من كل هذا إلى أن المكان في الرواية هو ذلك الفضاء الذي يتخذ أشكالاً متعددة ، ويلم بجميع أحداثها سواء أكان نفسياً أو محسوساً ، هو الأفق اللامتناهي الذي يجمع جميع الأحداث الروائية .

والزمان والمكان في الخطاب الروائي لهما أهمية ، لان هذا الخطاب يقوم على العنصر الحكائي السردى الذي يستطيع من خلاله الراوي أن يقدم القصة للقاري محكمة بمكان معين، وزمان معين يشد هذه الأحداث المروية بعضها إلى بعض ، فالزمان يتكامل مع المكان ليسهما في إضاءة الخطاب الروائي السردى ، فبنية الزمان ذات صلة بمفهوم المكان بالرغم من أن هناك من يميز بين الزمان والمكان ، لأن الزمان غالباً ما يقرن بالحركة ، و الحركة تقرن بالمكان بحيث يموت مفهوم الزمن ويزوب في مفهوم المكان.

والمنطق يفرض الفصل بينهما والدليل على ذلك " أن كل نظام مهما كان نوعه يتم إدراكه يتبين كل جزء منه منفصلاً عن الآخر ، ثم بتبيين كل الأجزاء في نفس الوقت من حيث تمثل كلا ، وتمثل الأجزاء منفصلة يقضي معنى المكان ومعنى الزمان معاً" (1) وهذا الانفصال يتم بين

(1) عبد الصمد زايد ، مفهوم الزمن ودلالاته ، الدار العربية للكتاب ، تونس ب ، ط ، 1988 ص 1

الأجزاء مما يخلق بينها أبعاداً ومسافات تمكنها من الاستقلال عن غيرها من الأجزاء الأخرى. كما أن هناك من يربط الزمان بالمكان وهذا لصعوبة الفصل والتمييز بينهما إلا على المستوى الإجرائي فقط .

ويذهب ميخائيل بأختين حين يبين العلاقة القائمة بين الزمان والمكان ، وما اصطلح عليه الزمكانية (الزمان/المكان "chronotope") إلى صعوبة الفصل بين الزمان والمكان في شكل العمل الفني " فالزمان هو الوحدة الفنية للمؤلف الأدبي في علاقته بالواقع الفعلي .

ولهذا السبب ينطوي الزمكان في المؤلف دائماً على لحظة تقييمية لا يمكن فصلها عن الزمكان الفني الكلي إلا في التحليل المجرد ، ذلك أن كل التحديدات الزمانية والمكانية في الفن والأدب لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وهي دائماً ذات صبغة انفعالية تقييمية يستطيع التفكير المجرد أن يتصور الزمان والمكان كلا على حدة ويغفل لحظتهما الانفعالية التقييمية .

لكن التأمل الفني الحي لا يفصل شيئاً ولا يغفل شيئاً، انه يلم بالزمكان في كل تماميته وامتلائه ،لإن الفن والأدب مخترقان بقيم زمكانية من مختلف الدرجات والأحجام ،وكل موضوع جزئي ، وكل لحظة متجزئة من المؤلف الفني هي قيمة من هذه القيم " (1) لأن تفاعل هذان العنصران الزمان والمكان ، يجعلهما مؤسسان جوهرين للخطاب حتى وإن ظهر أحدهما على حساب الآخر.

(1) ميخائيل بأختين ، أشكال الزمان والمكان في الرواية ، ترجمة يوسف حلاق ،دمشق منشورات وزارة الثقافة ، ب ، ط 1990 ص 230 .

وتوجب العلاقة الجدلية بينهما هذا الصراع داخل النص، ومن هذا أخلص إلى أن للمكان علاقة بالزمان والفصل بينهما يستحيل إلا إجرائياً في أثناء الدراسة لأن كل تغير مكاني ينتج عنه تغير زمني.

الفصل الأول

بنية الزمان في الخطاب
الروائي

ارتبطت الرواية بالتجديد، وهذا لانسامها بالحركة والاستمرارية، التي لا يمكن لأي شيء أن يتقدم دونها، في شتى المجالات الحياتية، و الجدة في الرواية "مرتبطة بمدى إنتاجيتها المتميزة عن إعادات الإنتاج السائدة ومدى فعلها في إقرار متغيرات جديدة، في ممارسة الإنتاج الأدبي والنقدي والفكري عموماً" (1) لأنها تمتاز بالتميز والتجدد، وبملازمة ومواكبة التغيرات الاجتماعية، والفكرية .

فكان ميلاد الرواية الجديدة مرتبطاً بمفهومها عند الروائيين الفرنسيين من أمثال "آلان روب قرييه" (Alain Robbe Grillet) "ميشال بيتور" ، "كلود سيمون" (Claude Simon) ، "نتالي ساروت" (Nathali sarroute)، "روبير بانجيه" (Roubert Penget)، "مارغاريت دورا" (Marguerite Duras)، "فليب سوليرس" (Philip Souers)، فلاحظ هؤلاء أن العصر الحالي قد تخطى الفرد وتجاوزه فكانوا واقعيين في تصورهم للعالم من حولهم (2) لأنهم أزاحوا القناع عن النزعة الفردية التي كانت بارزة في العمل الأدبي؛ والتي أصبحت تتلاشى مع هذا الرعيل من الروائيين .

وفي الواقع أن الثورة التي أعلنها هؤلاء الروائيون، والتي بدأت حين اكتشف الإنسان اللاوعي، فاننتقل محور الرواية من الخارج إلى الداخل (3) فأهملت الشخصيات، وكل ما يحيط بها من الجوانب الخارجية، وانصب الاهتمام

(1) سعيد يقطين - القراءة والتجربة - التجريب في الخطاب الروائي الجديد دار الثقافة سالة المغرب ب، ط 1985 ص 8

(2) كرومي لحسن ، -جماليات المكان في الرواية المغربية ، رسالة دكتوراه الدولة ، إشراف عبد الملك مرتاض، جامعة وهران ، السنة الجامعية ، 2006/2005 ، ص 288

(3) آلان روب جرييه - نحو رواية جديدة - ترجمة محمد إبراهيم مصطفى ، مصر دار المعارف د/ت/ ط ص 10

على بنية الرواية، التي عرفت تقنيات كبيرة لم تعهدها الرواية التقليدية، فلم تصبح الأحداث الروائية ذات شأن وأهمية، ولم تبق تهتم بنقل الواقع كما هو، لأنها ترفض المجتمع البرجوازي.

و يعد الزمان بنية مهمة في العمل الروائي لأنه لا يمكننا تصور قصة أو رواية خالية من هذه البنية المحورية في العملية السردية، حيث يرتبط كل خطاب روائي بالزمان "ونعني بالزمن هذه المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وحيز كل فعل وكل حركة" (1) فهو يشمل حياة الكائن الحي بما فيها من حركة مستمرة، ونشاط " فالزمن خيط وهمي مسيطر على كل التصورات والأنشطة والأفكار" (2) مما يدل على عدم القدرة في القبض عليه أو المسك به، فهو يمتاز بالتجرد والخفاء والسيطرة.

ولا يمكن للملفوظ الروائي أن يقوم أو أن يعتبر نصاً روائياً إلا عندما ترتبط عناصره بعامل الزمان، الذي يشكل البنية الخطية، التي تجعل اللاحق يرتبط بالسابق على عكس ما كان التصور التقليدي الذي كان يرى " أن الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرواية، ففي الرواية الجديدة يمكن القول أن الزمان يوجد مقطوعاً عن زمنيته. إنه لا يجري، لأن الفضاء هنا يحطم الزمن، والزمن ينسف الفضاء، واللحظي ينكر الاستمرار" (3) فالزمان في الرواية الجديدة لا يعرف الاستمرارية التي عهدتها الرواية في عهدها السابق. لأن الحركة مرتبطة بالشخصيات، والشخصيات لم تبق ذات شأن كبير في خلق الفضاء النصي للملفوظ الروائي الجديد.

(1) زايد عبد الصمد، مفهوم الزمن ودلالته، ص 7

(2) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 264

(3) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 68

وبالإضافة إلى ذلك فهي لا تهتم بالحدث والقصة ، بقدر التميز بالحضور المكثف للأشياء والمواضيع التي تباعد بينها وبين الإنسان . هادفة في الأخير إلى مخالفة تقنيات الرواية المعهودة .

و هي تسعى في الواقع إلى وصف الأحاسيس و المشاعر الإنسانية مع التركيز على وصف غياب الفرد في المجتمعات المعاصرة ، وتكسر التسلسل الزمني المترابط بل تسعى إلى تغييبه ، وتدعو إلى غياب البطل مع اعتماد الوصف ؛ وتعدد الرواة ، بدل السارد الواحد . مما أعطى للزمان تموقعا في الخطاب الروائي فأصبح شديد الالتصاق به أثناء العملية التلفظية .

بنية الزمن الروائي :

ليس من الضروري في وجهة نظر البنائية أن يتطابق تتابع الأحداث في نص روائي ما مع الترتيب المألوف التقليدي لأحداثها حسب تسلسلها الزمني ، أو كما يفترض أنها جرت بالفعل ، حتى بالنسبة " للروايات التي تحترم هذا الترتيب ، فان الوقائع التي تحدث في زمن واحد لا بد أن ترتب في البناء الروائي تتابعيا .

فطبيعة الكتابة تفرض ذلك الترتيب الزمني ما دام الروائي " لا يستطيع أبدا أن يروي عدداً من الوقائع في آن واحد " (1) فهذا الترتيب أساسه التتطابق بين زمنية القصة ، وزمنية سردها .

و التتطابق بين الزمنيين صعب الوقوع لأن " التتطابق بين زمن السرد وزمن القصة المسرودة لا نجد له مثالا إلا في بعض الحكايات العجيبة القصيرة على شرط أن تكون أحداثها متتابعة وليست متداخلة " (2) فالزمن داخل النص

(1) حميد لحميداني - بنية النص السردي - من منظور النقد الأدبي ص 73

(2) المرجع السابق ص 73

(3) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 273

الروائي يعادل زمنيين: زمن القصة ، و زمن الخطاب ، وهذا الأخير هو زمن خطي مستمر ؛ وزمن القصة هو زمن متعدد الأبعاد ، لأنه ينتقل بين الزمن الحاضر والزمن الماضي وزمن المستقبل وهذا ما يؤكد لي أن هذا التطابق المزعوم بين زمن القصة وزمن السرد مستحيل أن يتحقق ، فإذا سردنا قصة وقعت في زمن مضى ، ثم أعيد سردها من جديد فإن زمن السرد لا يتطابق أبداً مع زمن القصة لأنهما متباعدان من حيث الزمان والمكان .

ويرى النقاد والروائيون المعاصرون وجود ثلاثة أضرب من الزمن تلتبس بالملفوظ الروائي وتلازمه ملازمة مطلقة ، ويمكننا قراءة هذا النص من خلالها وهي "زمن الحكاية وهي : زمنية تتمخض للعالم الروائي المنشأ ، ... وزمن السرد: وهو الذي يسرد فيه الراوي أحداث القصة ، وزمن القراءة : وهو الزمن الذي يصاحب القارئ وهو يقرأ العمل السردي" (1) وكل هذه التقسيمات تقف عند حدود معينة لا تتجاوزها ، وسأقف عند هذه التقسيمات الثلاثية للزمن ، زمن القصة (الحكاية) ، وزمن السرد ، وزمن النص (الكتابة). (2)

1/ زمن القصة:

ويقصد به زمن المادة الحكائية ، وكل مادة حكائية ذات بداية ونهاية ، إنها تجري في زمن ، سواء كان هذا الزمن مسجلاً أو غير مسجل كرونولوجياً أو تاريخياً ، إنه الزمن الذي تقع فيه أحداث القصة ، وتتحرك في إطاره الشخصيات ، وتنجز فيه الأفعال .

(1) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ص 273

(2) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن ، السرد ، التبئير) ص 89

2/ زمن السرد:

ويقصد به تجليات تزمين زمن القصة وتمفصلاته وفق منظور خطابي متميز يفرضه النوع ، ودور الكاتب في عملية تخطيط الزمان ، أي :إعطاء زمن القصة بعدا متميزاً وخصوصاً ، فهو زمن خطي متواصل ومستمر يسرد فيه الراوي أحداث القصة .

3/ زمن النص :

ويقصد به الزمان المرتبط في كونه بزمن القراءة في علاقته بتزمين زمن الخطاب في النص ...وهو زمن دلالي لاعتباره التجسيد الأسمى لزمن القصة وزمن السرد في ترابطهما و تكاملهما مما يجعل القارئ مصاحباً لزمنية النص السردية .

وقد فرق جان ريكاردو " Jean Ricardou " بين زمن السرد وزمن القصة "ويضبطهما معا من خلال محورين متوازيين يسجل في أحدهما زمن السرد وفي الآخر زمن القصة وينظر من خلال عدة نماذج إلى أنواع العلاقات التي تتم بين المحورين " (1) فهو بذلك يشير إلى ذلك القطع الضمني الذي لا يصرح به الراوي غالباً وإنما يدركه القارئ فقط بمقاربتة للأحداث ، والكشف عنها عن طريق العلاقات القائمة بينها بحسب طبيعة الحكي على المستويين الزمنيين في الخطاب الروائي.

وإذا كان زمان القصة يخضع بالضرورة إلى التتابع الزمني للأحداث فإن

(1) Jean Ricardou : Problèmes Du Nouveau Roman Seuil /Tel quel 1967 P 163

زمن السرد لا يخضع لهذا الترتيب التتابعي ، إذ لا يعقل أن تتابع أحداث روائية مع التركيب الطبيعي لزميتها ، لأن الروائي هو المتحكم في إيراد الوقائع و الأحداث وفق تجربته الروائية الخاصة ؛ ومن هنا وجب علينا أن نميز بين نوعين من التنافر الزمني يقعان للروائي عند سرده للأحداث ، فقد يتابع الروائي سرد أحداثه في شكل متسلسل وفق ترتيبها في القصة ثم يتوقف راجعا إلى الماضي ليذكر أحداثا سابقة النقطة التي وصلها عند سرده ، كما يمكن له أن يذكر أحداثا مستقبلية لم يبلغها السرد بعد ، وهذا ما يطلق عليه بالسوابق واللواحق (1)

1/ السوابق: Prolepses:

فالسابقة هي عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً وتدعى هذه العملية في النقد التقليدي بسبق الأحداث Anticipation

2/ اللواحق: Analepses :

وللاحقة هي عملية سردية تتمثل بالعكس في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي يبلغها السرد ، وتسمى هذه العملية بالاستذكار Retrospection وعملية سبق الأحداث أو الرجوع إلى الأحداث الماضية أي : السوابق و اللواحق تنقسم إلى سوابق ولواحق ذاتية ، وسوابق ولواحق موضوعية . (1)

أ/ السوابق و اللواحق الذاتية: Prolepses Ou Analepses Subjectives:

وتتشكل عندما تتصل السابقة أو اللاحقة بالشخصية التي هي تحت مجهر

(1) سمير المرزوقي ، جميل شاكر مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا-ديوان المطبوعات

الجامعية - الجزائر- الدار التونسية للنشر ط 1 ب ب ص 80

(2) المرجع السابق ص 81

السرد ، والتي يذكر الحاكي أفكارها ، فإن تعلقت هذه الأفكار بالماضي ووردت في شكل ذكريات فتلك تعتبر لاحقة ذاتية ، وأيضاً إذا ذكر الراوي تطلعاتها المستقبلية تعد سابقة ذاتية.

ب/السوابق واللواحق الموضوعية: Prolepses Ou Analepses Objectives
وتتشكل عندما تتعلق العملية السردية بالحاكي القاص الذي يرى من المفيد أن يعود بالقارئ إلى الوراء لإعطائه معلومات إضافية عن تاريخ إطار مكاني ماضي أو شخصية ما أو أن يعلمه مسبقاً بحال السرد حتى يخلق في نفسه تشوقاً لمعرفة الأحداث التي ستقود إليه .

وبلا مندوحة فإن زمن القصة يخضع بالضرورة إلى تسلسل الأحداث ؛ تسلسلا منطقياً قبل أن يعيد الراوي سردها في قالب حكائي . فيعرف القارئ بوقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة ، وهذا ما أطلق عليه النقاد البنائيين "المفارقة" فالراوي يولد مفارقات سردية داخل النص الروائي وهذا ما نعبر عنه بالترتيب التالي :

إذا كانت الوقائع في زمن القصة على الترتيب التالي

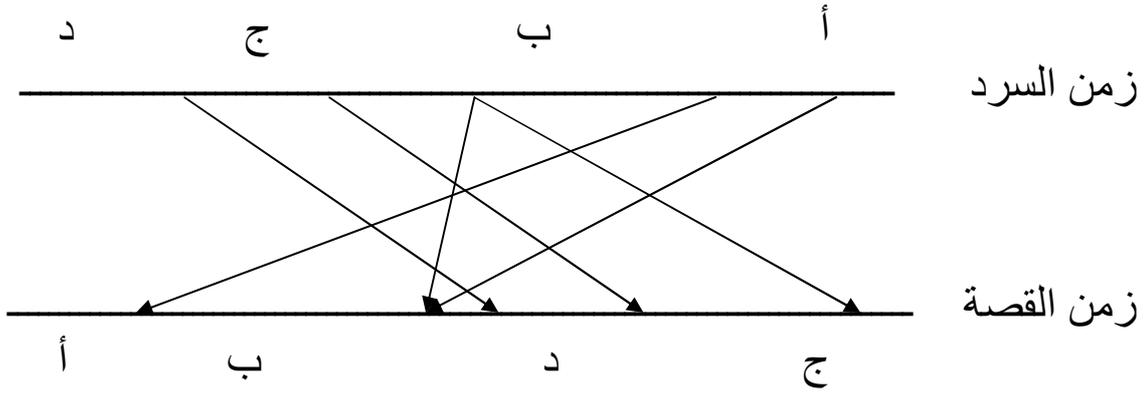
أ _____ ب _____ ج _____ د _____

فإن زمن السرد قد يرد على الترتيب الآتي:

ج _____ د _____ ب _____ أ _____

وتظهر هذه المفارقة بشكل واضح من خلال الرسم البياني التالي: (1)

(1) حميد لحميداني ، بينة النص السردية ، ص 74 .



ويتبين من خلال الشكل لنا أن نظام السرد لا يتطابق مع نظام القصة، من وجهة نظر البنائيين ، لأنه يبرز مدى تلاعب الروائي بالنظام الزمني للقصة من خلال إحداثه للمفارقة ، وكل مفارقة سردية يكون لها مدى (Portee) واتساع (Amplitude) فمدى المفارقة هو المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد، وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة ، وبالتالي فإن " مفارقة ما يمكنها أن تعود إلى الماضي أو المستقبل ،وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر ؛ أي: عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من أجل أن يفسح المكان لتلك المفارقة.. " (1) وبالمقارنة بين الفترة التي تستغرقها القصة وأسلوب تمثيلها في الخطاب الروائي أي : ما يطلق عليه بعلاقة المدة (Laduree) الاستغراق الزمني للفتاوت النسبي الذي يصعب قياسه بين زمن القصة ، وزمن السرد لعدم وجود "مقياس يحدد أن هذا الحدث استغرق مدة زمنية تتناسب مع طوله الطبيعي أو لا تتناسب بغض النظر عن الصفحات التي تم عرضه فيها من طرف الكاتب أي : أنه لا عبرة لزمن القراءة في تحديد الاستغراق الزمني" (2) فالراوي قد يستغرق زمناً

(1) Gerrar Genette Figures 3 -Seuil- Paris .1972 .P 89

(2) حميد لحميداني ، بنية النص السردية ، ص 76

أطول من زمن الحدث، وقد يستغرق زمناً أقصر منه، ونفس الشيء إذا اعتبرنا زمن القراءة معياراً لقياس زمن الحكيم فإننا نأخذ بعين الاعتبار القراءات السريعة و المتأنية والبطيئة ومن هنا تصعب المقارنة بين هذين الزمنين من هذه الناحية. ويذهب جرار جنيت " Gérard Genit " إلى دراسة الإيقاع الزمني في الخطاب الروائي بدلا من الاستغراق الزمني ، وهذا من خلال التقنيات الحكائية التالية :

الخلاصة (Sommaire) – الاستراحة (Pause) - القطع (Léllipse) – المشهد (Scène) ⁽¹⁾

الخلاصة (Sommaire) -

وتعتمد الخلاصة في الحكيم على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات ، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض إلى التفاصيل.

الاستراحة (Pause) -

وهي التي تكون في مسار السرد الروائي توقفات معينة يحددها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف ، مما يدعي انقطاع السيرورة الزمنية ، ويعطل حركتها.

القطع (Léllipse) -

وهو تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة إليها وقد عرف هذا

(1) المرجع السابق ص 76،77،78

عند الروائيين التقليديين ، أما الروائيون الجدد فقد استخدموا القطع الضمني الذي لا يصرح به الراوي ، وإنما يدركه القارئ فقط من خلال مقارنة الأحداث بقرائن أحكي نفسه.

- المشهد (Scène)

والمقصود به المقطع الحوارى الذى يأتى فى العمل الروائى لتضعيف السرد وهذه المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التى يكاد يتطابق فيها زمان السرد بزمان القصة من حيث مدة الاستغراق .

وبالإضافة إلى العلاقة القائمة بين زمن السرد وزمن القصة ، فإن زمان القراءة لا يقل شأنًا عنهما فى خلق العلاقة بين الملفوظ الروائى من جهة والقارئ من جهة أخرى .

وبناء على ما تقدم ذكره فالغاية من تتبع هذه المراحل المختلفة فى علاقة الزمان بالقصة وبالسرد وبالقراءة ، هو وضع صورة تقريبية عن طبيعة الزمان الروائى ؛وكيفية تشكله ، وطريقة دراسته عبر مسيرة زمنية هامة فى ارتباطه بالرواية الجديدة ، بحيث لم يبق وقفا على الانجاز الروائى ، بل أصبح موضوعاً للرواية بل أحياناً بطلها ، للكشف عن العلاقة القائمة بين زمن القص وزمن الحكاية كما " تردد فى السنوات الأخيرة أن الزمن هو "الشخصية" الرئيسية فى الرواية المعاصرة " (1) ، بل هو الوسيلة الأمثل للولوج إلى بنية الملفوظ الروائى المقدم على البحث فيه ، ولكن للوصول إلى دراسة منسجمة يجب الوقوف عند التوظيف اللغوى لهذا الزمان .

(1) آلان روب جريبه ، نحو رواية جديدة ، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى ، دار المعارف مصر

التداخل بين الأزمنة :

والواقع أن التداخل بين الأزمنة في العملية السردية ينتج عن زمنية القصة في وحدتها الكلامية، لأنها تصور لنا حدثاً قائماً، وحكاية قصة واقعة، فإن الزمان من خلال العملية السردية يفقد مساره الأساسي الخطي، فيصبح الماضي قبل الحاضر، والحاضر قبل المستقبل، أو يفقد الفعل الماضي دلالاته ليبدل على المستقبل، بل ويفقد الفعل المضارع أيضاً دلالاته ليبدل الزمن الماضي وهذا وفقاً لمقتضيات السرد.

فيقع التبادل بين المواقع الزمنية في العمل السردية " فإذا الحاضر قد يرد مكان الماضي ، وإذا المستقبل قد يجيء قبل الحاضر ، وإذا الماضي قد يحل محل المستقبل على سبيل التحقيق أو التعميم السردية " (1) وهذا وفقاً لما أشرنا له سابقاً عند استباق الأحداث أو القيام بعملية استرجاعها فيتمكن الحاضر من سبق الماضي ، والمستقبل من سبق الحاضر ، أو حدوث عكس ذلك فينتج لنا الشكل التالي إن مثلنا للأزمنة وفق تواردها ، فمرمز للماضي ب (1) والحاضر ب (2) والمستقبل ب (3) فإننا نحصل على ما يلي :

أ / 1 — 2 — 3

ب / 1 — 3 — 2

ج / 2 — 1 — 3

فهذا التداخل بين الأزمنة بانتقال الروائي من زمان لآخر يخلق تباين بين زمنية القصة، و زمنية السرد لأن هذا التباين القائم بين الزمنين القصة و السرد

(1) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 288

يمكن في كون أن زمن القصة هو زمن خطي متعدد الأبعاد يخضع للتتابع الزمني ، وزمن السرد الروائي لا يخضع للترتيب والتتابع ، لأن الروائي هو المتحكم في إيراد الأحداث والوقائع ، فيتلاعب تلاعباً فنياً بالأزمنة الثلاثة فيدخل بعضها في بعض (1) فيدخل الزمن الحاضر في الماضي .

الماضي الحاضر المستقبل

كما يدخل الزمن المستقبل في الزمن الماضي .

المستقبل الماضي

كما يدخل الزمن الماضي في المستقبل .

الماضي المستقبل

و هكذا نرى بأن الروائي يتلاعب بأزمنة الرواية متنقلاً بالقاري من فترة زمنية إلى أخرى حيث يكسر الترتيب التاريخي الكرونولوجي للزمن ، ومن الممكن أن تتخذ طرائق توظيف الأزمنة وتداخلها الأشكال التالية :

1 - حاضر، ماض، مستقبل.

2 - حاضر، مستقبل، ماض.

3 - مستقبل، ماض، حاضر.

4 - مستقبل، حاضر، ماض.

5 - ماض، مستقبل، حاضر.

وعلى هذا النحو يتفاوت أو يتطابق زمن الكتابة وزمن القصة في البنية

(1) عبد الجليل مرتاض ، البنية الزمنية في القص الروائي ، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر -

الروائية الجديدة ، فيما يمكن أن تتصل أو تنفصل الإسترجاعات القريبة أو البعيدة عن الإستتباقات القريبة أو البعيدة " كما يمكن لليل أن يتداخل بالنهار ، والشروق بالغروب ، والمساء بالصباح ، والصيف بالشتاء ، والربيع بالخريف ، والساعة باليوم ، واللحظة بالفترة ، والدقيقة بالثانية ، والهنئية بالأعوام ، والزمن الذاتي بالزمن الموضوعي ، والزمن النفسي بالكوني " (1) وبهذا التداخل يتحول زمن الخطاب التاريخي الخطي إلى زمن روائي سردي متقطع لا يخضع للترتيب والتتابع إلا في نفس الروائي لأنه المتحكم في سرد الوقائع والأحداث .

و بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نعبر على هذا التداخل بين الأزمنة بصيغة الفعل الدال عليه ، فقد ينتقل الروائي من صيغة فعل إلى فعل آخر ، فيحدث الالتفات بالأفعال حسب الأزمنة ، فقد يرجع عن الفعل الماضي أو المضارع إلى فعل الأمر ، كما قد يعبر عن المستقبل بلفظ الماضي أو العكس ، كما يرجع عن المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول ، فنشير إلى هذا التداخل بين الأقسام الأربعة التالية المبينة لأضرب الالتفات بالأفعال بما يلي : (2)

1/ الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

2/ الرجوع عن الفعل المضارع إلى فعل الأمر.

3/ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي .

4/ التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.

(1) عبد القادر بن سالم - البنية السردية في الرواية المغاربية الجديدة - رسالة ماجستير إشراف د/ عبد المالك مرتاض ، جامعة وهران ، السنة الجامعية 2006/2007 ص 42،43
(2) إبراهيم فواتيح عبد الرحيم - بلاغة الالتفات في الخطاب القرآني - رسالة ماجستير إشراف د/ سليمان عشراتي جامعة وهران 2005/2006 ص 99

1/ الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر

إن الترتيب الزمني في العمل الروائي قد يعتوره بعض الرجوع في بنية الزمن وذلك من خلال استعمال الروائي للأفعال فقد يعبر بصيغة الفعل الماضي ثم ينتقل إلى صيغة فعل الأمر ، وهذا ما نجده في خطاب النص القرآني وهو قليل ، كما في قوله تعالى : " قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وأدعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون " سورة الأعراف الآية 29 فنجد أن المولى سبحانه في خطابه عدل الفعل الماضي إلى فعل الأمر ، فأمر ربي بالقسط عدل عنها بالأمر مراعاة للعطف و أقيموا وهذا لغاية تأكيده في نفوسهم . وهذا ما قد يذهب إليه الروائي في خطابه السردي .

2/ الرجوع عن الفعل المضارع إلى فعل الأمر

قد يرجع الروائي عن الفعل المضارع إلى فعل الأمر مما يجعل الأزمنة تتداخل في خطابه الحكائي وقد ورد ذلك في النص القرآني ، والذي نجده في قوله تعالى : " قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمومنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون " سورة هود الآية 53/54 فنجد أن الخطاب على لسان هود قد عدل فيه المولى عن صيغة الفعل المضارع (أشهد) إلى فعل الأمر (واشهدوا) ، وقد وقف الزمخشري عند هذه الآية وقال : فإن

قلت :هلا قيل :إني أشهد الله وأشهدكم (قلت) : لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد رشد معاقده وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب ، فعدل به عن اللفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة⁽¹⁾ . وهذا ما قد يلجأ إليه الروائي لغاية إحداث التداخل بين الأزمنة فيعدل عن صيغة المضارع إلى صيغة الأمر .

3/ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي :

يتداخل الزمن ويتغير بالتقدم و التأخر عبر المسار السردي ، وقد يترك كل فعل موقعه لصنوه بتغيير دلالاته الحقيقية فالماضي قد يعبر بموقعه عن المستقبل وذلك ما نجده في قوله تعالى : " و نادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً " سورة الأعراف الآية 44 ، أي: وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار لأن دخول الجنة أو النار في المستقبل لم يتحقق وقوعه بعد ، فعبر بالماضي لتحقق وقوعه .

وقال الزمخشري في علة هذا الالتفات هو : " و إنما قالوا لهم ذلك اغتباط بحالهم وشماتة بأهل النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفاً لمن سمعها ، وكذلك قول المؤذن بينهم "لعنة الله على الظالمين " وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة و أهل النار " (2) كما قد يلجأ إلى استخدام صيغة الفعل الماضي المقترنة بالسین و سوف للدلالة على المستقبل .

(1) الزمخشري ، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، عناية وتخريج ،

خليل مأمون شيخا ، لبنان، دار المعرفة ط 1 ، 2002 بيروت ص 488

(2) المرجع نفسه ص 364

4/ التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل :

كما يتم التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي قد يتم العكس فيعبر الروائي عن الماضي بلفظ المستقبل ، وهذا باستعمال صيغة الفعل المستقبلية للدلالة عن ما وقع في الزمن الماضي ، وهذا ما جاء في الخطاب الرباني قوله تعالى : " واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان . " سورة البقرة الآية 102 . أي : واتبعوا ما تلتته الشياطين ، فقد عبر بالمضارع تتلوا الشياطين وهذا لاستمرار الحالة الماضية في المستقبل في تعليم الناس السحر ، وهكذا جاء في قوله تعالى : " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقته من تراب ثم قال له كن فيكون " سورة آل عمران الآية 59 . فعبر عن الزمن الماضي بلفظ المضارع "فيكون" لأن المقام يقتضي صيغة الماضي لا المضارع فيقول : قال له : كن فكان وهذا إشارة إلى أن قدرة الله على إيجاد شيء ممكن وإعدامه لم تنقص بل هي مستمرة في الحال والاستقبال في كل زمان ومكان . وبالتعبير عن الماضي بلفظ المضارع فيه دلالة على استحضر الصورة أو الأمر حتى زمن التكلم، وقد يستمر ذلك إلى المستقبل، لأن تحقق وقوعه مؤكد وليس على وجه الاحتمال، وهذا لا يتحقق على مستوى الملفوظ الروائي.

و من هذا كله نلخص إلى أن التداخل بين الأزمنة في الملفوظ الروائي يضيف على الانفعال الدرامي حدته الحقيقية، فيأخذ الزمن السردي مسارات مختلفة بين ماضي، وحاضر، ومستقبل، فتدرك أن القيمة الجمالية لهذا

الملفوظ الروائي تكمن في خلخلة هذا الترتيب الزمني، كما أن توظيف الروائي لهذه الأزمنة يكون بصورة نسبية مع الرواية ودلالاتها، وبنيتها الروائية السهلة الواضحة بعيدا عن الصرامة الرياضية، وعن التسلسل الزمني التاريخي.

وبناء على ما تقدم ذكره فإن الغاية من تتبع هذه المراحل المختلفة التي تترصد علاقة الزمن بالقصة وبالسرود وبالقراءة، هي وضع صورة تقريبية عن طبيعة الزمن الروائي وكيفية تشكله، وطريقة دراسته عبر مسيرة زمنية هامة في ارتباطه بالرواية الجديدة انطلاقا من كونه عنصرا فنياً زمنياً بل لم يبق حكراً على الانجاز الروائي، وأصبح موضوعاً للرواية، بل أحيانا بطلها، وهو الوسيلة الأمثل للولوج إلى بنية الزمن في الفضاء الروائي.

ووجب علينا للوصول إلى دراسة بنيوية ذات دلالة، الوقوف عند دلالة هذه الأزمنة الأيديولوجية داخل الخطاب الروائي، انطلاقاً من دلالاته التاريخية، ثم الاجتماعية، والنصية بما يخدم هذه الدراسة.

الفصل الثاني

بنية المكان في الخطاب

الروائي

المكان الروائي هذا الإطار الذي لا يمكن أن نتخيل أو نتصور عملاً روائياً يقع خارجه ، هذا الفضاء الذي يعد تقنية ذات مستويات دالة في بنائها يمكن تحديدها ، والتفاعل معها ، أنه الفضاء الفسيح التي تقع فيه الأحداث والوقائع وتتصارع داخله الشخصيات ، فهل يا ترى هذا المكان الروائي هو مكان يتسم بالواقعية ؟ ، وهل هو محسوس أم ملموس ؟ أم تراه خيالي أسطوري يعكس عالماً متخيلاً؟.

و تحديد المكان في العمل الروائي وتشخيصه هو الذي " يجعل من أحداث الرواية بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع ، بمعنى يوهم بواقعتها ، أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح " (1) وهذا يعود لارتباط الأحداث الروائية بالإنسان ، المرتبط بذاته بالمكان ارتباطاً يتسم بالالتصاق والتلازم ، لأن المكان يدرك إدراكاً مباشراً فهو قابل القبض أو المسك به .

وباعتباره الإنسان الكائن الأكثر وعياً وإحساساً بهذا المكان، فهو يمتلك حاسة مكانية " تبيح له القدرة على انتظام المكان بالإقامة فيه في المرحلة الأولى ، ثم دمجها في اللغات الجمالية ، أو في المسرح أو في السينما في مرحلة ثانية ، وبالتالي يبدو المكان والإنسان وكأنهما يشكلان كائناً واحداً " (2) وطبيعي أن وقوع أي حدث لا يمكن أن نتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين ولهذا

(1) حميد لحميداني بنية النص السردي ص 65

(2) عبد القادر بن سالم البنية السردية في الرواية المغربية الجديدة ، ص 146

يلجأ الروائي دائماً للتأطير المكاني لجعله أكثر واقعية أو مماثلاً للمظاهر الحقيقية .

وبلا شك فالمكان الروائي يرتبط بالأحداث ، والوقائع الواقعية والمتخيلة التي ترتبط أيضاً بمرجعية واقعية ، تتشكل بحسب التخيل للأحداث ، وطبيعة الرواية هي التي تجعل من الأمكنة فضاء يزخر بروية شاملة و متنوعة ، فهو واسع يشمل المساكن والطرق و المعالم و الأراضي الزراعية و المقاهي و الشوارع و أماكن العبادة و غيرها ، بل تتشكل أحياناً من سياق العبارة الدالة عن هذا الفضاء .

ولم يعد المكان تشكلاً لبعض المعالم و التضاريس بل هو عالم تسكنه الشخصيات ، ويساهم في سير الأحداث داخل الرواية فيتحول من كونه مكاناً إلى شخصية روائية في ذاكرة القارئ تكتسي ملامح و أبعاد يحولها إلى فضاء أشبه بالفضاء الواقعي " لأن الأمكنة و تواترها في الرواية يخلقان فضاءً شبيهاً بالفضاء الواقعي ، وهما لذلك يعملان على إدماج ألحكي في نطاق المحتمل" (1) ليكون بذلك واقعياً يقنع القارئ، ويشد انتباهه ، كما يكسبه حلة جمالية ؛ عن طريق تلك التقاطعات الثنائية "فتقاطعات المكان مثنوياً للتعمق في فهم جماليات المكان مثل التوسيع، والتكثيف " المساحة و الصغر " الثراء والفقر " التزايد والتناقص" والخارج والداخل " الظهور والتوازي"، لتبيان تقاطع الواقعي بالخيالي، والتقاطع الجيهوي، وتقاطع سطح و عمق ، وتقاطع سطح و عمق ، وتقاطع حياة و جهاد،

(1) حميد لحميداني بنية النص السردي ص 65

وتقاطع حركة وسكون، مما أضاء علاقة المكان الروائي بالزمان والشخصيات من خلال تعالقات المكان ثابت والزمن متحرك ، المكان متحرك والزمن ثابت ، المكان متحرك والزمن متحرك، إخضاع المكان لعوامل الزمان ، وإخضاع الزمان لعوامل المكان ، وإسهام المكان في تشكيل الشخصيات .الشخصيات تحرك المكان وتشكله " (1)

فتجعل هذه التقاطعات المكانية الزمانية هذا المكان اللامتاهي الممتد عبر الملفوظ الروائي يسهم في توسيع إطار القراءة المكانية لأن " السيطرة المكانية ،وبلاغة المكان وفلسفته التي كانت في البداية مجرد هواجس مفهومية ، وما لبثت أن تجسدت إجرائيا، وكان لذلك أثره في توسيع إطار القراءة المكانية" (2) مما أدى إلى تعدد مفاهيمه عند النقاد .

فصار مصطلح المكان " متعدد المفاهيم في الممارسة النقدية إضاءة لمنظورات استخدامه من المكان أو بناء المكان الزمكانية، ثم الفضاء الحيز، وغالبا ما تتداخل هذه المفاهيم في الرواية النقدية ، لقضايا المكان " (3) فهو ذو أهمية بالغة ؛ وتبرز أهميته في فضاء الكتابة الأدبية عموما ، والرواية خصوصا

(1) عبد الله أبو هيف ، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر ، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد -27- العدد-1- 2005 ، ص130/131

(2) خالد حسين حسين ، شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي، أدوار الخراط نموذجاً ، كتاب الرياض 83 أكتوبر 2000 ص05

(3) عبد الله أبو هيف ، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر ص 131

لكونه " يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي من حيث جملة العلائق النصية التي ينسجها مع قوى النص ، زمن ، شخصية ، رؤية... " (1) فلذا ارتأينا أن نتبين أنواع الأمكنة المشكلة لهذا الفضاء المكاني للرواية .

أنواع الأمكنة :

وبولوجنا إلى أنواع الأمكنة في الملفوظ الروائي يجابهنا ذلك التشعب المعرفي الذي يمكن أن يسهم بإسقاطه في توضيح مفهوم أنواع الفضاء المكاني من جهة ، ويكشف عن الدور البنائي له داخل النص الروائي من جهة أخرى ، وهكذا نجد أنفسنا أمام مظاهر وتفسيرات متنوعة للفضاء المكاني فقد كانت هناك عدة اجتهادات تطبيقية لتحديد أنواع المكان وأبعاده .

وقد افرقت الأنواع و الأبعاد لدى النقاد بصفات معينة ، فكان هناك مكان موضوعي مفترض مجازي ، وهندسي ، ومعادي وتجربة معيشة ، وجاذب وطارد وأليف ، وهناك واقعي أو تعبيرى أو ذاتي ، " ولا تخرج هذه الأنواع و الأبعاد عن أن تكون صفات للأمكنة الروائية يمكن اجتماعها كلها في رواية واحدة من غير أن يعين هذا الاجتماع على تحليل بناء المكان في هذه الرواية .

ولا تتجسد جمالية المكان بتسمية الأمكنة الروائية وتحديد ابعادها ؛ وإطلاق صفات مفردة عليها ، بل تتجسد بوساطة الطريقة الفنية التي تقدم أمكنة مرتبطة

(1) خالد حسين حسين ، شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي، ص 05

بالحوادث، والشخصيات ، والمنظورات، قدرة على تشييد فضاء روائي نابض بالحركة ، والحياة والدلالة "(1) هذا الفضاء الذي يهيمن تارة على الملفوظ الروائي؛ وتارة يتشكل في نوع من الأنواع السالفة الذكر " على أن هذه الأنواع من المكان تتداخل وتتحول ، وقد يصبح ما هو أليف منها معاديا ، أو ما هو معاد أليفا ، إلا أن تقسيم المكان إلى هذه الأنواع يخضع لهيمنة العنصر السائد فيه "(2) وهو تقسيم لجأنا إليه بغية تسهيل دراسة المكان، وسنقف عند ما يخدمنا في هذه الدراسة .

1/ الفضاء الجغرافي Espace Géographique

ومفهوم الفضاء في هذا التصور هو "مقابل لمفهوم المكان ، ويتولد عن طريق ألكي ذاته ، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال ، أو يفترض أنهم يتحركون فيه" (1) فهو الحيز المكاني في الرواية بجميع أمكنتها الماثلة و المتخيلة .

و يلتمس هذا الفضاء م من خلال أشكال ثنائية ترسم جغرافية المكان مثل: ممتد /محدود، قريب/بعيد، مفتوح/ مغلق ، وهد/ أكم ، ضخم /ضئيل ... هذا الرسم المكاني الذي يقدم منه الروائي " دائما حد أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ ،أو من أجل تحقيق

(1) سمير روجي الفيصل ، بناء الرواية العربية السورية -1990/1980- منشورات اتحاد الكتاب دمشق 1995 ، ب ، ت ، ط ص 254/255

(2) شجاع مسلم العاني ، البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، الوصف وبناء المكان ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 2000 ، ت ، ط ص 156

(1) المرجع السابق ص 62

استكشافات منهجية للأماكن " (1) لأن البعد الفكري والخيالي عند القارئ قد يجعل هذا الفضاء الجغرافي مجالاً " أكبر من الجغرافيا مساحة ، وأشسع بعداً فهو امتداد وهو ارتفاع ... وهو عوالم لا حدود لها " (2) فالفضاء الجغرافي يسهم في تمزيق صيرورة المشهد الروائي ، كما يسهم في لملمته وخلق وحدته.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الفضاء الجغرافي غير منفصل عن دلالاته الحضارية إذ يتشكل من خلال العالم القصصي، يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له ، والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة أو روية خاصة للعالم (3) ويقصد بذلك أن الفضاء المكاني يدرس في إطاره الروائي في تحديد دلالاته ، وإبراز علاقته مع النصوص المتعددة لعصر زمني ما ، أو فترة زمنية معينة .

2 / الفضاء النصي : Espace Lexiquel

وهو فضاء مكاني أيضاً ، غير أنه يتعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية، لا اعتبارها أحرفاً طباعية على مساحة من الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب (4) فهو الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها من تصميم الغلاف إلى الفصول وتنظيمها ، ووضع المطالع ، وأشكال الكتابة المطبعية ، وقد اهتم

(1) R .Bourneuf et Rouellet Lunivers du Roman P.U.F. 1981 P9

(2) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 189

(3) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص 54

(4) المرجع السابق ص 62

ميشال بتور بهذا الفضاء كثيرا واقفا عند فضاء النص بالنسبة لأي مؤلف كان ، واضعا أبعاد ثلاثة للكتاب ، ويقصد بالأبعاد الثلاثة طول السطر ، وعلو الصفحة وسمك الكتاب ، وهذا ما نستقيه من التعريف الهندسي الذي وضعه للكتاب "إن الكتاب كما نعهده اليوم ، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة ، وفقا لمقياس مزدوج : طول السطر ، وعلو الصفحة ، وهو وضع يتيح للقارئ حرية كبيرة للتنقل بالنسبة إلى تتابع النص" (1)

وبلا شك فإن الفضاء النصي هو فضاء مكاني لأنه لا يتشكل إلا عبر المساحة مساحة الكتاب وأبعاده بالرغم من كونه فضاء محدود لا علاقة له بالمكان الذي تتحرك فيه شخصيات الملفوظ الروائي بل هو مكان تتجول عبره عين القارئ.

وقد أشار " ميشال بتور " إلى مجموعة من مظاهر تشكل هذا الفضاء النصي أهمها : الكتابة الأفقية ، الكتابة العمودية ، الهوامش والرسوم والأشكال ، الصفحة ضمن الصفحة ، ألواح الكتابة ، الفهارس " (2) وكلها تسهم في إبراز دلالية النص بشكل مباشر أو غير مباشر يوصل من خلالها إلى المفهوم الفكري لمضمون النص الروائي .

3/ الفضاء الدلالي : Espace cémantique

وهو فضاء يتولد للقارئ من خلال اللغة الخطابية" فهو يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكيم ، وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة

(1) ميشال بتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، ص 112

(2) المصدر نفسه الصفحات 131/130/128/127/122/115

المجازية بشكل عام " (1) لأن اللغة الحكائية تحمل من المعاني الحقيقية والمجازية ما يجعل القارئ يسبح في فضاء دلالي يتكون عنده عن طريق التأمل للمدلولين المجازي والحقيقي .

ويرى " جيرار جنيت" نفس الأمر حيث اعتبر هذا الفضاء " ليس شيئاً آخر سوى ما ندعوه عادة صورة (Figure) ... وإن الصورة هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء ، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له ، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى . " (2) فهي تحيل إلى وجود مجال مكاني ، معين يمكن أن يدرك أو يمكن تخيله .

وأيضاً يرى الفيلسوف " غاستون باشلار " (Gaston Bachelard) أن المكان ليس بمثابة الوعاء أو الإطار العرضي التكميلي ، بل إن علاقته بالإنسان علاقة جوهرية تلزم ذات الإنسان وكيانه ، فهو يرتبط به بالميلاد ، والصبى ، والترعرع ، والكبر ، فهو اجتماعي ، فالعناصر الطبيعية كالماء والنار والهواء " لا ترد كإطار غير ذي معنى بل كثيراً ما تكون مشحونة بالدلالات إذ يكسبها الإنسان هذه المعاني من خلال تجربته الحسية الخيالية أي الشعرية " (3) فهو يشير إلى المعاني والدلالة التي يكتسبها المكان من خلال علاقته بالإنسان أو القارئ .

(1) حميد لحميداني بنية النص السردي ص 62

(2) المرجع السابق ص 61

(3) سمير المزروفي ، جميل شاكر ، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً ص 64/65

4/الفضاء كروية :

ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي -الكاتب - بواسطتها أن "يهيمن على عالمه المكاني بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح " (1) إنه جهة الرؤية التي يقدم بها الروائي عالمه الروائي . وهذا الوضع يأخذه المؤلف من خلال تصويره أو ذكره أو وصفه لمكان ما بعين الاعتبار إذ أن "كل تصور للمكان ولید رؤية خاصة تمثل انحيازاً يجب استنباطه من خلال أسلوبية الأثر وصيغ الوصف الواردة فيه" (2) فالعالم الروائي يصبح مشدوداً إلى محركات خفية يديرها الراوي وفق منهجية يرسمها ، يتخيل فيها الشخصيات ويصفهم فيها وصفا يجسد من خلاله زاوية روايته لعالمه الروائي .

ومن خلال هذه الفضاءات المكانية التي وقفنا عندها فإن الفضاء الجغرافي والنصي هما فضاءان حقيقيان في فضاء الحكى ، في حين الفضاء الدلالي يعود على موضوع الصورة في الحكى ، و فضاء الرؤية يعود إلى موضوع زاوية النظر عند الراوي .

وبناء على ما تقدم يمكننا القول أن المكان هو مكون للفضاء الروائي ولما كان هذا المكان متصل بلحظات الوصف ، وهي لحظات متقطعة ، فإن فضاء

(1) حميد حميداني ، بنية النص السردي ص 62

(2) شاكر جميل سمير المزروفي ، مدخل إلى نظرية القصة ، ص 65

الرواية هو الذي يجمعها ، " لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان ، والمكان بهذا المعنى مكونا للفضاء ، وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا إنه العالم الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية " (1) فهو بذلك يشمل جميع الأمكنة التي تتحرك عليها الشخصيات ، والتي يصورها الروائي ويصفها ، وينظر من خلالها أثناء صيرورة الحكى .

المكان وعلاقته بالمضمون :

يعتبر المكان من أهم عناصر العمل الروائي ، فهو المساحة التي تجري فيها الأحداث ، وتتحرك في أرجائها الشخصيات ، وهو فضاء يحتوي كل عناصر الرواية كما قد يكون مركز العمل الروائي لأن المكان داخل الإطار الروائي غير المكان في الواقع ، أنه فضاء خيالي يتمتع بمقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة ، وأهميته البالغة، فهو يرتبط بالمضمون ارتباطا لكونه عنصرا فاعلا في تطور الرواية وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات وعلاقاتها.

فعلاقة المكان بالمضمون لها أهمية ، وهذه الأهمية تتفاوت من عمل روائي إلى آخر ومن كاتب روائي إلى آخر ، وهذا وفقا لخصوصيات المكان في البنية السردية " فالمكان بإمكانه أن يصبح محدداً أساسيا للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أيّ أنّه يتحول في النهاية إلى مكون

(1) حميد لحميداني ، بنية النص السردى ، ص 63

روائي جوهري يحدث قطيعة مع مفهومه كديكور بتحوله هذا، يصير عنصراً متحكماً في الوظيفة الحكائية و الرمزية للسرد و ذلك بنيته الخاصة و العلائق المترتبة عنها" (1) .

وبناء على هذا القول فإن الرواية أصبحت الرواية المضمونة التي تحدد وتؤثر في درجة حضور المكان وتشكله وفق توالي أحداث النص وتعاقبها لأن المكان (يسهم في خلق المعنى داخل الرواية و لا يكون دائماً تابعا أو سلبيا بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم) (2) ، ولهذا ساقف عند علاقة المكان بالسرد ، وعلاقة المكان بالوصف .

المكان وعلاقة بالسرد :

إذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكى فإِنَّه في علاقته بالمكان يبدو منسجماً مع التقنيات الروائية التي تجعل من الصور الموضوعية جنبا إلى جنب في الخطاب الروائي تكشف عن مضمون الرواية ، فالمكان بصلته بالإنسان يمثل " مرجعية حنين ،

(1) حميد لحميداني ، بنية النص السردى ، ص 70

(2) المرجع السابق ص 70

ويقفز مكان الولادة و الصبا دون الأمكنة الأخرى ،من الخريطة ، ليكون مرجعية حنين أولى ، والذي مهما أبتعد عنه الإنسان ظل محفورا في الذاكرة ، لا يفتأ يذكره ، على الرغم من كل ما يتراكم في الذاكرة من صور للأمكنة "(1) لأن في مسار حياة الإنسان بين الولادة والنضج يتشكل الوعي عن خلفيات مشهدية ترتبط بالذهن فيألفها أو يرفضها .

فيألف الطفل المكان الذي ترعرع فيه ، ويألف الحجرة التي يعيش فيها ، ثم البيت ثم الحي الاجتماعي ، فلذلك في أسلوب السرد التقليدي " تبدأ الرواية بوصف لديكور مألوف وعادي سيحدث فيه شيء ما ، وصف يبعث على الاطمئنان في القارئ دون أن يصدمه ، مظهراً له أن المغامرة حادث عارض واستثنائي غايتها الوحيدة أن تمنحه رعشة من اللذة أو القلق في عالم منظم أحسن " (2)

ومع تغير طبيعة إحساس الروائيون الجدد بالحياة جعلهم يغيرون أسلوب تعاملهم مع الواقع ، " فلم يعد إحساسهم بالمكان يبعث في أنفسهم الشعور بالاطمئنان لذلك تغيرت نظرتهم إليه " (3) فأخذ المكان في العملية السردية شكلين جديدين ؛ إما أن يهتم

(1) كرومي لحسن ،جماليات المكان في الرواية المغاربية ، ص 102

(2) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ص 68

(3) المرجع السابق ص 68

به عن قصد ، فيظهر عن طريق إشارات عابرة تدعو إليها ضرورة
ألحكي ، وإما أن يهتم به ويبالغ في وصفه حتى يجعله يسيطر على
القاري .

وأكثر المكان التصاقا بحياة البشر من حيث أن خبرة الإنسان بالمكان وإدراكه
له ، يختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان ، لأن ادراكه للزمان هو إدراك غير مباشر
من خلال فعله في الأشياء ، لكن المكان يدرك إدراكا حسيا مباشرا يبدأ بإدراك
الإنسان لجسده،" وهو مكنم القوى النفسية والعقلية والعاطفية ، والحيوانية للكائن
الحي الأمر الذي يفسر أن البشر لجأ إلى المكان في تشكيل تصوراتهم للعوالم
المادية ، وغير المادية على السواء ، فالقرب والبعد والإرتفاع والانخفاض،
علاقات مألوفة تربط الإنسان ارتباطا بدائيا بالمحيط الذي يعيش فيه" (1) وهذا
الإدراك الحسي للمكان قد يختلف من فرد إلى آخر كما قد يكسبه معاني ودلالات
جديدة.

إذا يرتبط المكان بالإنسان ،إنه الفضاء الذي يعيش فيه ، ورقعته الجغرافية
المشدود إليها ، والتي تختلف من فردية إلى جماعية إلى قومية ، وكل رقعة لها ما
يميزها ، فلها نظامها الذي يحكمها ، والإنسان هو الذي يضيف عليها معاني جديدة
، كمكان مقدس للعبادة ، أو كمرکز للإقامة ، أو كمرکز اجتماعي أو نفسي .

(1) يوري لوتمان، جماليات المكان ، مشكاة المكان الفني ، تر سيزا قاسم ، مجلة ألف عدد 06 ، ص 79

المكان وعلاقة بالوصف :

إذا كان الوصف هو أداة تشكل صورة المكان ، وإبراز مضمون العمل الروائي فإن الروايات تتفاوت في تحديد دور الوصف بالنسبة لتصوير المكان .

فإذا كان الوصف في الروايات الواقعية يهتم بتحديد المجال العام الذي يتحرك فيه الأبطال ، فإن الوصف في الروايات الجديدة أصبح بالإضافة إلى ذلك يميل إلى الدقة المتناهية في قياس المسافات بحثاً عن هندسة حقيقية للمكان. (1)

وهذا التفاوت في الدور الذي يقوم به الوصف بالنسبة لتصوير المكان ؛ يجعل البعد العمودي الذي يشير إلى المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث ، فيلتحم مع البعد الأفقي الذي يشير إلى الصيرورة الزمنية ، فيشكلان لنا فضاء العمل الروائي .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الوصف يرسم لنا الأشياء بواسطة اللغة ، فيصور لنا الروائي الأشياء في المكان ، وهذا التصوير لا يكون غاية في حد ذاته ، وإنما يأتي من أجل خلق الفضاء الروائي ، فيساهم الوصف في التصوير الفني للمكان.

وليس الوصف بالأمر المستحدث فالآن روب جريبيه " يرى أن الوصف ليس اختراعاً حديثاً ، لأن الرواية الفرنسية الكبيرة في القرن التاسع عشرة ، وبالزراة على رأس قائمة كتاب هذه الفترة ؛ تطفح بالبيوت والأثاث والملابس الموصوفة بدقة وإسهاب شديدين ، وهذا دون أن نحسب الوجوه والأجسام وغير

(1) بحرأوي حسن ، ببنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 1 الدار البيضاء

ذلك ، ولا شك ان هذا الوصف في هذا الوقت يهدف إلى أن يجعل القارئ يرى وهو ينخح في هذا ، كان الوصف في هذا الوقت يهدف في معظم الأحيان إلى بناء ديكور ، وإلى تحديد وتصوير الشكل الفيـزيائي للأبطال و الشخصيات الرئيسية " (1) فالوصف انذاك يكشف عن مضمون النص كما يهدف إلى توضيح معالم النص الروائي ، وتارة يشد ذهن القارئ فيجعله يتمثل الفضاء الذي تجري فيه الأحداث ، " فكأن هذا الديكور صورة للإنسان : كل حائط وكل قطعة أثاث في الدار كانت بديلاً للشخصية التي تسكن هذه الدار غنية أو فقيرة ، قاسية أو عظيمة. " (2) فهو يفصح عنهما عن طريق الديكور الوصفي للأماكن و الأثاث فتكتمل بذلك صورة الشخصية .

وبلا مندوحة فإن الوصف في الرواية الجديدة أصبح يصور الأشياء ويسهم في البناء النص الروائي كما يسهم في تلاشيته وتحطيمه من خلال رسم الصورة وبنائها في ذهن القارئ الذي ما يوشك أن تكتمل الصورة عنده يجدها قد تلاشت من جديد، حتى " أن الصورة تحاط بالشك والخيرة كلما تقدمت في البناء والإكتمال ، بعد عدة فقرات وعندما ينتهي الوصف يكتشف القارئ أن هذا الوصف لم يترك شيئاً متماسكاً وراءه ، فلقد اكتمل الوصف في حركة مزدوجة من الخلق والتحطيم " (3) وهذا يعود إلى الترتيب الذي يفرض به الروائي نفسه في خلق عالم يتشابه مع عالم الواقع بفضل الأماكن والديكورات الداخلية من أشكال الملابس

(1) آلان تروبول جريبه ، نحو رواية جديدة ، تر : مصطفى ابراهيم مصطفى ، ص : 129

(2) المرجع نفسه ، ص : 130

(3) المرجع نفسه ، ص : 131

والرموز الاجتماعية ، والتي تخلق عالما يود الروائي أن يبدو وكأنه لا يفعل شيئاً سوى تصويره محاولاً اقناع القارئ بهذا العالم .

و خلاصة القول ، تتجلى علاقة المكان بالمضمون في كون المكان سواء في السرد التقليدي؛ أو في الرواية الجديدة يسهم في بناء فضاء الملفوظ الروائي ، وهو بذلك يكتسب أهمية كبيرة .

وتكمن هذه الأهمية أيضاً فيكونه أحد عناصرها الفنية ، و لكونه أيضاً الموضوع الذي تجري فيه الأحداث ؛ وتتحرك داخله الشخصيات ، فيتحول في بعض الأعمال السردية المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من شخوص ، وأحداث ، وما يقوم بينهما من علائق ؛ تساعد على فهم مضمون الرواية .

التشكل المكاني :

المكان في العمل الروائي يتخذ أشكالاً مختلفة وهذا لكونه ليس " عنصراً زائداً في الرواية ... ويتضمن معاني عديدة بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله " (1) وهذا ما ذهب إليه حميد لحميداني عندما جعل الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ؛ونوعية الأشياء التي توجد فيها .

(1) بحرأوي حسن ، ببنية الشكل الروائي ، ص 33

تخضع الأمكنة في تشكيلاتها أيضاً إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع ، والضيق ، أو الانفتاح والانغلاق⁽¹⁾ . ويعود هذا لخصوصية الأمكنة، فالمكان خارج الملفوظ الروائي لا يحمل نفس الدلالة وهو في سياق ذا الملفوظ الروائي ؛ و المكان المتخيل لا يحمل نفس الدلالة والمفهوم بالنسبة للمكان الواقعي " وكثيراً ما يكون المكان العجيب فسيحاً مختلف الأشكال يتسع لتحركات البطل و أفعاله وأغراضه ومطامحه ، أي : للممكن اللانهائي " ⁽²⁾ للمكان المؤلف و غير المؤلف .

فالمكان المؤلف هو ذلك المكان الذي تتألف معه نفس الشخصيات ، والذي يكون حاضراً في مسار حياة الإنسان ؛ يرتبط بالألفة ويسجل بالذهنية ؛ فمكان الولادة ، و الإقامة يعتبر مكاناً مألوفاً عند صاحبه لأنه يوفر له الحماية والاستقرار ، أما غير المؤلف فهو الذي تنفر منه النفس بل يكون مصدر خوف بالنسبة لها .

المكان المفتوح والمغلق:

فالمكان المفتوح داخل العمل الروائي يختلف عن المكان المغلق " فالمنزل ليس هو الميدان و الزنزانة ليست هي الغرفة لأن الزنزانة

(1) حميد لحميداني بنية النص السردي ص 72

(2) سمير المرزوقي ، جميل شاكر ، مدخل إلى نظرية القصة ص 38

ليست مفتوحة دائما على العالم الخارجي بخلاف الغرفة، فهي دائما مفتوحة على المنزل، والمنزل على الشارع...⁽¹⁾ .

المكان الأفقي والعمودي:

ومن خصوصيات المكان إنه يكون ذا امتداد أفقي يدل على اللانهاية كالصحراء مثلا؛ أما دلالاته العمودية إذا كان الشخص مرتبط به ارتباط روحي كمكان العبادة مثلا.

و من كل ما سبق ذكره، سنحاول الولوج إلى فضاء النص الروائي الذي هو بين أيدينا، للبحث فيه عن مدى مساهمة هذا الفضاء المكاني؛ في تكوين بنية الملفوظ الروائي؛ من خلال دلالة المكان وكشفه عن مضمون هذا النص الروائي .

(1) حميد لحميداني بنية النص السردي ص 72

الفصل الثالث

بنية الزمان و المكان في رواية فوضى
الأشياء

1 / دلالة العنوان :

أ / بنية العنوان :

أول ما يجلب الانتباه في أيّ عمل روائي عنوانه، هذا العنوان الذي تتجلى من خلاله مجموعة هامة من دلالات النصّ الروائي، فهو سمة من سماته تميّزه عن غيره من النصوص، كما يكون مدخلاً وبداية له، ينبئ عن الملفوظ الروائي كما يحمل معناه، فاختيار الروائي " رشيد بوجدره " لعنوانه "فوضى الأشياء" لم يكن اعتباطياً، فهو يثير في القاري الرغبة في القراءة، فهو يتكون من شقين لفظة فوضى بما تحمل من دلالات ومعاني لأنها لا تقع لذاتها، بل تقع بقيام الفعل، أما اللفظة الثانية " الأشياء " والتي جاءت بصيغة الجمع لها مدلولها في الثقافة العربية، فهي محملة بالمعاني مما يستدعي الوقوف عندها، وهذا العنوان تصوره لم يسبق له الروائي إليه صدفة بل في النص ما يبرره فو ناتج عن وعي، ويسهم في إزالة الغموض لذا ارتأينا أن نتأمل بنية الدلالة التي يفرزها.

ب / العنوان بنية لها دلالاتها الخاصة:

إن القارئ لهذا العنوان " فوضى الأشياء " سينصرف ذهنه إلى جملة من الأشياء تحدث مع بعضها البعض نوعاً من الاضطراب، ونوعاً من الفوضى الأمر الذي يدفع بالقارئ إلى تحديد دلالة بنية العنوان من خلال البحث في تعالقه مع النص اللاحق دلالياً ولغوياً، فالعنوان والنص يشكلان بنية معادلة كبرى، فالعنوان يولد معظم دلالات النص، وإن

كان النص في الغالب هو المولد للعنوان بأبعاده الفكرية و الأيديولوجية، فإن تأمل القارئ الجزء الأول من الملفوظ الروائي يجد البعد الزمني لهذا العنوان؛ بل ينجلي الجزء الأكبر بتاريخ 10/10/1988م.

فينبغي أن نلاحظ أن البنية الدلالية الزمنية في ارتباطها مع نص "فوضى الأشياء" تشير إلى تلك المرحلة التي مرت بها الجزائر فترة ما بعد الاستقلال، وهذه الفوضى تعلن عن نفسها كثلاث نقاط متتالية في بداية النص، والتي يفصح عنها في الصفحة الثالثة والرابعة.

" كانت المدينة تظهر... على الرغم من الدبابات الرابضة في النقاط الحساسة منها والركام والحطام، والواجهات المحروقة و البنايات المحطمة و الزجاج المبعثر. وشظايا الفلز المهشمة " (1) مناظر تتعاقب مع العنوان تجسد فوضى أشياء.

و تتكون هذه الأشياء من كل كائن حي، ، وإنسان وجماد وهم في هذا يتخبطون. " فبين الرياح الجنوبية والأنسام الشمالية فتتعاقب الروائح النتنة، تخالطت فيها روائح الزيوت المحروقة، فتصاعد بشكل صفائح تكاد تكون صلبة تتسابق من تحت إطارات السيارات المبعجة المشوهة، فبدت أشباحا غريبة ازدحمت بها الطرقات والأرصفة ازدحاما عشوائيا فوضويا تتخللها من حين إلى آخر أشكال من الدبابات الشبحية فتبدو وكأنها ازدادت ضخامة وحجما مروعا وقد انتفخت تحت استعمار النار فازدادت تورما و تبعجا وتضاعفت غرابة وهولا (2) لتعكس

(1) الرواية "فوضى الأشياء" دار بوشان للنشر الجزائر 1991 د/ط ص 12

(2) المصدر السابق ص 13

مدى الفوضى الناجمة عن خمس أيام من الانتفاضات والهيجانات والمجازر، التي مرت بها المدينة .

ويضفي عليها الخطاب اللغوي قيمة إخباريه تحدث فارقا بينها وبين حوادث الحياة (فالفرق بين حوادث الرواية وحوادث الحياة ليس في أننا نستطيع التثبت من صحة هذه بينما لا نستطيع الوصول إلى تلك إلا من خلال النص الذي يظهرها فحسب. " (1) فلذا نجد أنفسنا أمام حركة صعود و نزول بين العنوان والنص.

فنؤكد ما توصلنا إليه من حيث دلالة بنية العنوان أو نفيه فهل هذا العنوان " فوضى الأشياء " هو اختصار وتجسيد لموضوع النص، أم هو عنوان يعبر عن فترة زمنية ماضية في التاريخ الجزائري ؟ أم هو إحساس وشعور بالمرارة وانكسار الذات، وتوالي الفوضى في زمن قد مرت فيه الجزائر إلى زمن الاستقرار والاستقلال ؟ وهذا ما نكشفه من خلال البحث عن علاقة العنوان مع النص من الناحية اللغوية والتركيبية، ودلالة العنوان في تعالقه مع النص.

2 / علاقة العنوان بالنص لغويا وتركيبياً:

كما اشرنا أنّ العنوان يولد معظم دلالات النص، أو قد يكون مجملاً لما يتضمنه فهو " يدل أيضا على بتر النص المقدم إلينا للقراءة " (2)

(1) ميشال بوتور بحث في الرواية الجديدة ص 8

(2) شريبط أحمد شريبط ، " السيرة وروية الواقع في مقتطفات من مفكرة إمرة في سوق النخاسة ، "تجليات الحداثة " العدد الثالث ، جامعة وهران 1994 ص 90

وتقديمه في شكل أشد اختصاراً فالأشياء بفوضاها حاضرة كعلامة تضيئ كل فصول الرواية، لأنّ التقابل الذي رسم به الروائي هذا النص من حيث الزمان مقابلاً بين الحاضر والماضي، وما تم من فوضى في الحاضر يوحي بوقوعه في الماضي، ومثال ذلك تمثال الأمير الذي التقيا عنده في الحاضر كتمثال الجنرال الفرنسي فيقول :

" فوجدنا أنفسنا وجها لوجه، بغتة، محاصرين كلانا من جهة بهيكل التمثال الهائل، ومن جهة أخرى برصيف أحد المقاهي الذي أراده أصحابه متباهياً بالمظهر العصري الحديث وعبثاً حاولوا، وكانّ هذا المقهى لثلاثين عاماً مضت قد تحطم تحطيماً هائلاً بتفجير قنبلة ضارية ناسفة. أما الآن فقد احرق من جديد وتدمر شرّ تدمير فتحول إلى ركام حجراً وحديداً وخشياً... كان في نفس المكان لثلاثين عاماً مضت تمثال آخر يحاكي هذا التمثال ضخامة، ويهيمن على السّاحة هيمنة عشوائية فيزيد ضيقاً على ضيق، لا فرق بين التمثالين سوى أنّ الأول كان يمثل جنراً فرنسياً يرتدي زيّاً عسكرياً وقبعة عسكرية ويمتشق سيفاً عسكرياً، فيما هذا يمثل أميراً جزائرياً يرتدي برنساً عربياً ويمتشق سيفاً عربياً فيهيمن على السّاحة الصغيرة هيمنة..."⁽¹⁾ فهذه المقابلة بين الأمكنة والأزمنة وفي تغليب أحدهما على الآخر تارة رسمت علامة للنسيج الذي يبني عليه النص.

ويشدنا العنوان على المستوى التركيبي ويغرينا بالدخول في

(1) الرواية ص: 11

تجربة قراءة النص، فالخط الذي كتب به العنوان على الغلاف خط باللون الأسود الداكن، وبرسم مميز يجلب الانتباه وهو خط مغاير لخط الكتابة داخل النص الروائي فهو مرسوم بالخط الكوفي في مربع أبيض يميل للاصفرار، كما كتب أعلاه بنفس الخط اسم المؤلف في مربع أسود بخط أبيض عريض، ثم كلا المربعين الأبيض المائل للاصفرار، والأسود موضوعين في إطار بلون اخضر غامق، هذا التركيب التقابلي بين المربعين يعبر عن تركيب النص المتقابل بين الحاضر والماضي للجزائر بين هذه التواريخ : 1988/10/10م و 1956/02/11م و 1957/02/11م .

و ينبغي أن نلاحظ الإطار الذي يحيط بالمربعين من اليمين إلى اليسار والأسفل فهو يوحي بالدلالة التاريخية للجزائر، وأما الحروف فهي لذاتها تخلق عالما وحياء في رسمها للبعد التركيبي للعنوان .
و توحى " فوضى الأشياء " ببنيته على مدى التشويه الذي مورس ضد مدينة الجزائر والتي فقدت ملامح ذاتها وعلامتها المميزة فأصبحت الفوضى تغمرها، والأشياء تبرز مكانتها فيها فمن النظام إلى اللانظام. وهنا يتعالق العنوان مع النص لغويا وتركيبياً ليكون بذلك العنوان صورة مختصرة لما ورد في النص.

3/ علاقة العنوان بالنص دلاليا:

يبدأ السرد الممزوج بالوصف عن المخاطب الذي حاول الكاتب أن يبرز

معالمه من خلال الوصف الذي وصفه به الروائي مقابلاً صورته الماضية بصورته الحاضرة كيف كان وكيف هو الآن، فبعد أن كان يذرف الدموع مدراراً فلا تتوقف عن السيلان على خديه، فلا صوت له يسمع ولا شهيق ولا بكاء بل تتساقط الدموع منها على وجهه في صمت مهيب عميق، فكانت على غزارتها وثقلها وتباطؤها تغسل وجهه فتنتشر على وجنتيه الرخوتين الطريتين فتصبغ على عينيه الرماديتين بريقاً أخضر يزيدهما روعة وجمالاً" (1)

يتأمله وينظر إليه وهو واقفاً كالمشده لا يتحرك مرتدياً معطفه القديم من الصوف الخشن كان قد اشتراه في جونيفاً أو موسكو وقد كان يشغل منصب قنصل أو - من يدري- ؟ أو ممثلاً تجارياً لإحدى الشركات الوطنية في إحدى المدن المعروفة ببرودة جوها (2) هذه المقابلة التي دلت على التغيير الحاصل في شخص أخيه الذي روى لنا قصتهما معاً كيف كانا في صباهما والمفارقة التي تبدو بينهما بالرغم من كونه زيقوطو كما كان يسميه "Zygotu" (3)

ويذهب الروائي منطلقاً من فوضى الحاضر ليضيء لنا فترات من حياته عائداً إلى فوضى الماضي ، فوضى الزلزال وفوضى الحياة التي كان يعيشها انطلاقاً من البيت إلى الشارع إلى مكان عمله المستشفى، فكان جسد النص مشعاً بالإشارات المباشرة التي تضيء العنوان ، وكأنها نوافذ أساسية

(1) الرواية ص10

(2) المصدر السابق ص 9

(3) المصدر نفسه ص 21

للإطلال على قصة هذا المتكلم ، وشقيقه التوأم " Zygoto " ، والتي عبر عنها في ثلاث محطات مهمة تاريخيا ، تعبر عن ما مرت به المدينة من فوضى فانطلق من الحاضر الذي أصبحت فيه المدينة " فاكسبت المغازات - اذن - والحوانيت ما يكتسبه الشارع من مظاهر تدميرية بعد الانتفاضات والمظاهرات والانقلابات ... ظهرت بمظهرها المضحك ، المزري والماجن بعض الشيء ، فالعمارات المبقورة المتفسخة المتمظهرة كذلك كشف كل ما فيها ... " (1) فانطلق ليعبر عن الفوضى التي نجمت عن الزلزال والتي بقيت راسخة في ذهنه.

فمظهر المدينة كما تذكره " كنت أتذكر خاصة كيف هز الزلزال الأرض هزاً فاكسح المنطقة كلها، ودمر المدينة شرّ تدمير فلم يبق منها سوى ركام متراكم متراص ...ديار مفلقة ، ديار معوجة ، ديار مصعوقة ، ديار متلاشية، هناك عجائز أصابها مس من الجنون فرُحن يكشطن الأرض بشوكات الأكل المصدأة تحت أشعة الشمس " (2) ناهيك عن فوضى الشارع ومكان العمل.

فكانت الهواجس وكأنها قد تأصلت في أعماق نفسه بعد مضي أسبوع من المجازر والعمليات الجراحية التي كان يقوم بها في المستشفى ، حيث كان يغمس يده في أحشاء المجروحين والمعطوبين والمقبورين والمخصبين ... " (3) وما وقع من فوضى إبان الثورة التحريرية حيث " عمليات التقتيل بوتيرة الحشرات المنتشرة بينه وبين ظلال هؤلاء الذين جاؤوا من بعيد ليحاصروه خلال قيلولة

(1) المصدر السابق ص 20

(2) المصدر نفسه ص 22/21

(3) المصدر نفسه ص 25

دبقة انزلق فيها بفعل أحلام الغيبوبة والانحلال، وبرز أيضا عبر الثورات والمذابح والتمرد والتهجير الجماعي والانتفاضات والنفي واجتاز التاريخ فوق عظامه النخرة التي تحولت إلى معالم راسخة إلى الأبد (1)

فنتعانق دلالة النص مع العنوان فوضى الأشياء فترسم لنا ما مورس على مدينة الجزائر منذ فترة الاستعمار وما زال مستمرا إلى هذا اليوم فيوحي هذا الاسم " بحدث التشويه الذي مورس ضد المدينة التي فقدت ذاتها وعلامتها العربية المميزة" (2) فيكتب الروائي الرواية معتمداً على الاستنكار ، بالعودة إلى أيام الطفولة ، وأيام المشاركة في الثورة الجزائرية .

و ينطلق من الواقع المر ، الذي كله فوضى ومأساة ، صورها بأشكال مختلفة ولكنه كان يرى بأن حالة الطوارئ التي فرضت على البلاد كلها منذ أسبوع وحتى يومنا هذا أي يوم 10 أكتوبر 1988 ، ويوم التحاقه بالمقاومة عام 1958 أو 1959 (لا أدري متى بالضبط) قد كونا له محور التقابل بين حالته الماضية والحاضرة .

ومع توالي تقليبنا لصفحات الرواية ، وما بين النص ولوحة غلافه ، تتضح لنا دلالات أخرى للعنوان ، فحينما يعبر الكاتب عن التقابل بين ما كان واقعا أثناء فترة الاستعمار ، وبين ما هو قائم بعد ثلاثين سنة ، فإننا ندرك أن هذا اللون المسيطر على صفحة الغلاف وكأنه يميل إلى فترة الاستعمار بما يتترك من أذيال

(1) المصدر السابق ص 132

(2) شريط أحمد شريط " السيرة وروية الواقع في مقتطفات من " مفكرة امرأة في سوق النخاسة

وأتباع ثم يعبر اللون الأبيض الذي يميل إلى الصفرة عن فترة الاستقلال التي ما فتئت أن تحولت إلى سواد قاتم، حالك بعد تلك الأحداث والمظاهرات التي خلقت فوضى عارمة في الساحات والطرق والمستشفيات، بطون مقبورة ، ... دامية مرضوضة متلاشية ... قطع من اللحم البشري إذن كثيرا ما تدلت من جثث المصابين بالرصاص أو المتلفين بالنار ، قطع من اللحم تدلت من الهياكل العظمية أثناء الحروب التقليدية أو المتكسلة من جراء النابلم أثناء الحروب الاستعمارية ، جثث أو عظام مكدسة وكأنها أشياء مهملة لا قيمة لها البتة، مثلها مثل الأطلال والركام و الأثاث والمواعين والزجاج ومما يعثر عليه بعد الزلزال والطوفان والأنفجارات البركانية " (1) فوضى عارمة خلفها المتظاهرون أو " المتمردون " فقد كان أحد المتظاهرون أو "المتمردين " قد خرج بغتة من الزقاق فور إصابة الجندي، حاملا لافتة ممزقة وعلما قد صنع من عدة أجزاء خيطة بعضها ببعض وكان هذا النوع من العلم قذرا، مدعوكا، ملطخا بالوحل (2) فتنبئ حالة العلم بمدى الفوضى التي مورست على مدينة الجزائر مما ابرز التعالق بين النص و العنوان وهذا يعطينا الحق أن نسمي هذا الملفوظ الروائي بهذا العنوان . ويلزم من هذا أن هذا العنوان يعتبر تجسيدا لمضمون النص، فهو يعبر عن مدى الشعور بالمرارة والانكسار من خلال صورة الماضي في فترة الاستعمار ، وبعدها الزلزال ثم الفوضى الناجمة جراء المظاهرات أو "التمرد " الذي حول المدينة مرة ثانية وثالثة إلى فوضى وخراب.

(1) الرواية ص : 220/109

(2) المصدر نفسه ص : 57

مستويات الزمن في رواية فوضى الأشياء

يمثل العمل الروائي " فوضى الأشياء " مدة زمنية عاشتها الذات الإنسانية تحت وطأة الاستعمار من جهة ، وتحت تلك المظاهرات وحالة الطواري من جهة ثانية ، فامتزجت هذه الذات الوطنية للإنسان الجزائري بالزمن بكل أشكاله ، وخاصة زمان هذه الرواية المحدد بثلاثة تواريخ تاريخية (10 أكتوبر 1988 / 11 فيفري 1957 / 11 فيفري 1956) هذه الفترات الزمنية تعتبر فترة الاستقلال بؤرة تحولها .

ومن خلال قراءتي لهذا الملفوظ الروائي ؛ وجدت أنه مبني على زمنين الحاضر والماضي بالتقابل بينهما تارة ، وبالتغليب أحدهما على الأخر تارة أخرى في بناء وترتيب الأحداث لأن المعروف هو أن (الحدث الذي يدل عليه الفعل الماضي تم وانتهى ، وأن الحدث الذي يدل عليه الفعل المضارع هو الحال ، أي الحاضر)⁽¹⁾ ومن هنا عمدت للكشف عن بنية الزمان بوتيرتها المتسارعة والمتباطئة ، بين طموح الذات الإنسانية ورغبتها في الاستقلال .

وبين معاناتها اليومية في النهوض بشكل يجعلها تفصح عن تجربة الشعب الجزائري في مراحل اللذة والألم (لأننا نعتقد أن البنية الزمنية في جانبها الفني تمتص تجربة الأمة وخبرات أفرادها ، وفق مراحل الألم واللذة، الخاضعين إلى سرعة الزمن ، وسهولة تدفقه في حالات الفرح واليسر ، وإلى تباطئه

(1) سمير روجي الفيصل - حقول الرماد - بين البنية التكوينية وبناء الرواية ، مجلة الوحدة ، مجلة فكرية ثقافية شهرية تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية ، العدد 49 تشرين الأول أكتوبر 1988 السنة الخامسة ص 138

وصعوبة تجاوز لحظاته في الحالات المعاكسة)⁽¹⁾ فالروائي نجده يحدث تسارعا في زمنية الرواية بين الفترتين 11 فيفري 1957 إلى 10 أكتوبر 1988 هذه الفترة التي تمثل الامتزاج بين اللذة والألم ، وتدفق فيها الزمان بكل تسارعه ، لأنه يكشف لنا عن الحالة النفسية للروائي في حد ذاته .

وتكشف أيضا عن " درجة وعي الروائي وقدرته على الإستيعاب والتشكيل مكانا وزماناً لمادته ، وتعبيره عن قضاياها الراهنة والأساسية ، ويثري النص الروائي مقنعا لوجوده وحضوره وفعله " ⁽²⁾ فهو المالك المتصرف في شخوص الرواية وزمنها .

فخضوع الزمان للحالة النفسية لذات الروائي ندركها من خلال أزمنة هذا النص الروائي بأجزائه الثلاثة المحكمة بأزمنة تاريخية ذات أهمية في تاريخ الجزائر ، والمستلهمة من الذاكرة ؛ استطاع الروائي استرجاع الوقائع والأحداث الفارطة لبناء عالم المسرود ، وزرع الحياة فيه من جديد في شكل دوراني دون توقف .

فتتناسق الأحداث والوقائع في إطار عام للمسرود من خطاب المتكلم الراوي في سن الكبر- الطبيب - الذي يعالج المرضى ، "لا تؤاخذني ... أسمحلي ... كل هذه البطون المبقورة ، والأجساد المبعوجة و أخصي المسحوقة ... أنت تعرف صدقتي نخدم ليل ونهار وما نحبس من العماليات حل هذا وخيط هذا " ⁽³⁾

(1) بشير بويجرة ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، الجزء الثاني ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران 2002/2001 ، ط 2002/2001 ص : 37

(2) إبراهيم جنداري ، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا ، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد 2001 ب ط ص : 09

(3) الرواية ص : 12

ثم تعود به الذكرى مسترجعا زمان الطفولة ، وصلته بأخيه "الزقيطو" التوأم ، إلى علاقته " بسلين " أو "إلين " والتي قدر له أن يفارقها ويدفن حبّها ويهجرها للمشاركة في الثورة التحريرية .

فهو يرسم عالما روائيا وكأنه في رحلة متخيلة عبر الزمن والمكان تصنعهما الكلمات من أجل بناء عالم قد يشبه عالم الواقع ، ولكنه يبقى متميزاً عنه بخصائصه الفنية ، وأبعاده الدلالية و الترميزية ⁽¹⁾ يكون الزمن بوتيرته الارتدادية الارتجاعية التي تنطلق من الزمن الراهن ،ويكون الماضي محورها وفق ما يتصوره الراوي بذهنيته ؛ وذاكرته وأفكاره فيصبح الزمن في بنيته ذا دلالة ، إلى جانب نظامه في الخطاب الروائي والعلاقة القائمة بين زمان السرد و زمان القصة و زمان القراءة ، بل أيضا العلاقة بين الزمان الداخلي و الزمان الخارجي .

وبنا إلى هذا كله - في دراستنا- حاجة شديدة لتوضيح ورصد علاقة الزمان بالقصة وبالسرد وبالقراءة ، لوضع صورة تقريبية عن طبيعة الزمان الروائي وكيفية تشكله ، وطريقة دراسته عبر مسيرة زمانية هامة في ارتباطه بالرواية الجديدة ، انطلاقا من كونه عنصراً فنياً لا يمكن الإستغناء عنه .

و لم يبق وقفا على الانجاز الروائي بل أصبح موضوعا للرواية ، بل أحيانا بطلها ، وهو الوسيلة الأمثل للولوج إلى عالم بنية الخطاب الروائي ،

(1) الطاهر روائيه - الرواية وفعاليات القص - قراءة في رواية "ليلة القدر" للطاهر بن جلون مجلة التبيين في الرواية المغربية ، المأزق الحضاري إبداعات ثقافية تصدر عن الجاحظية العدد "9" الجزائر 1995 ص 40

وللوصول إلى دراسة بنيوية ذات دلالة وجب علينا الوقوف عند دلالة هذه الأزمنة الإيديولوجية داخل الخطاب الروائي انطلاقاً من دلالاته التاريخية ، ثم الاجتماعية ، ودلالة النظام الزمني للنص.

دلالة بنية الزمان في النص الروائي

1/ دلالة بنية الزمان التاريخي :

الزمان في الملفوظ الروائي لا يستقل بنفسه ، وهو هام جدا لأنه يمثل قاعدة العمل الروائي كما رأينا ، وذو اثر في الحوادث والشخصيات ، والروائي في نصه قد اختار لهذا النص زماناً ومكاناً محددين ، مما يجعل لها تاريخاً . ويجعل هذا التاريخ المتصل بالأحداث الرواية تتسم بالواقعية ، ويسيطر عليها عنصر التشويق لأن " الفن الروائي هو أكثر الفنون التصاقاً بالزمان والمكان ، وتبدو فيه الطروحات الفيزيائية لقضايا الزمن وعلاقاته بالمكان والتعلق العضوي بينهما مسألة قابلة لكثير من التصورات والجدل " (1) حاول الروائي من خلالها أن يجسد هذا التعلق بين الزمن والحدث .

الجزء الأول : 1988/10/10 (2) الجزء الثاني : 1956/02/11 (3) ، الجزء الثالث : 1957/02/11 (4) . هذا التاريخ الذي ينتقل من حاضر الروائي لينبش به الماضي، ويطلق العنان للذاكرة لاسترجاع الأحداث.

فالنص الروائي الذي ينقل هذا التاريخ ويترجمه نصاً أدبياً قد يجعل من هذا الملفوظ الروائي الناتج نصاً تاريخياً بموضوعية أكثر من كونه ذا جمالية فنية لكن الروائي استطاع أن يتخذ من الموضوعية التاريخية خلفية للأحداث حتى يعطي

(1) عبد الحميد المحادين التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1999 ، ط 1 ص: 85

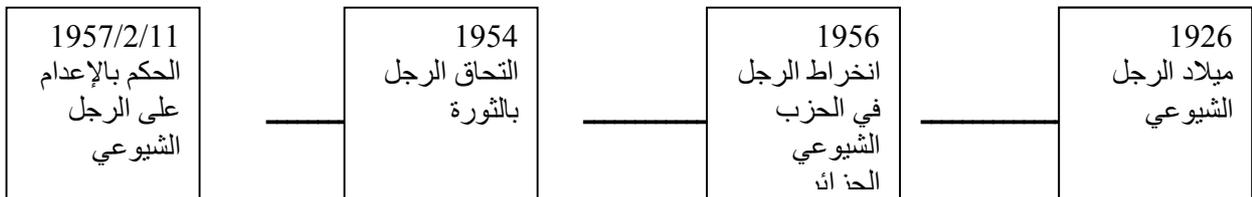
(2) الرواية ص: 7

(3) المصدر نفسه ص: 107

(4) المصدر السابق ص : 181

للحدث التاريخي طعمه وموضوعيته ، ولا يعطل جماليته الفنية " فالوقائع التي تحدث في زمن واحد لا بد أن تترتب في البناء الروائي تتابعياً " (1) فلذا الروائي لا يمكنه أن يروي عدداً من الوقائع في آن واحد ، فيكون في خطابه أكثر حرية في التحليل ، والتأويل والاستنتاج وفق تطورات محددة لأنه لا يمكنه أن " يتقاسم الحديث الروائي نفس الاهتمامات للحديث التاريخي " (2) فالأول هو حديث فني جمالي إبداعي ، أما الثاني فهو موضوعي واقعي .

فالزمان التاريخي يشير إليه في هذا العمل الروائي بكل موضوعية قائلاً " حرباً أرغمت ذلك الرجل المولود في 12 جوان 1926 بالجزائر العاصمة العامل في شركة الكهرباء والغاز ، المنخرط في الحزب الشيوعي الجزائري منذ عام 1956 و المعدوم بالمقصلة في 11 فيفري 1957 في سجن بربروس ، أرغمته على مقاومة العسف الرهيب الذي اجتاح البلاد وانقض عليها انقضاضاً فغزتها الجيوش الاستعمارية ، أرغم على المقاومة بعد اندلاع الثورة العارمة الجارفة سنة 1954 " (3) ونمثل هذا التطور التاريخي في الشكل التالي :



(1) حميد لحميداني بنية النص السردية ، ص: 73
 (2) حسن البحراوي بنية الشكل الروائي ص: 112
 (3) الرواية ص: 38

و نجد في الواقع أن الاقتراب التاريخي فنيا يخضع لمبد الانتقائية، لأن التاريخ هو عبارة عن جملة من الأحداث لا تحمل قيمة فنية أيديولوجية، والعمل الروائي هو الذي يغير مجراها الأساسي.

وتصبح عبارة عن قراءة تأويلية للأحداث ، ينفخ فيها الراوي من ذاته وروحه ويولد فيها أبعاداً وأيديولوجيات نابغة من ذاته أو مجتمعه، فضلاً على أن الرواية "لا يمكنها أن تصور الحقيقة التاريخية المطبقة بقدر ما تجسد موقفاً ورؤية معينة لهذا التاريخ" ⁽¹⁾ وبهذا يكون الزمن التاريخي جزء من النص الروائي ، بل زاوية ينظر من خلالها الروائي للأحداث التي يسردها لغاية تثبيت قيما فكرية ذات صلة بالعناصر التكوينية لبنية المجتمع .

فيتخذ الروائي الأساليب الفنية التي تسمح له بالمزج بين الأزمنة فيقدم الزمن الحاضر على الماضي وفق ما تمليه الذاكرة ، فهي التي تتيح له " تنمية شخصيته من خلال تحويل الحلم والذاكرة إلى دافع ومشجع يوصل الماضي بالحاضر" ⁽²⁾ فيكسر بذلك الزمنية التاريخية ، ويجعل الخيال يسبح ويحوم في فضاء الإبداع ، فيكون الزمن التاريخي عنصراً مساعداً في الكشف عن طبيعة الملفوظ الروائي بكل تفاعلاته ، وصراعاته الأيديولوجية.

2/ دلالة بنية الزمن الاجتماعي :

يرتبط العمل الروائي بالواقع بل يحاول الروائي أن يصور ويجسد واقع

(1) إبراهيم عباس ، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية ، ص 107

(2) محسن جاسم الموسوي ، عصر الرواية، مقال في النوع الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

القاهرة بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ، ت ، ط ص 36

الشخصيات الاجتماعية، والزمان كظاهرة اجتماعية كل نشاطات الأفراد منحصرة فيه، فهو محدود بالنسبة له لمدة حياته، ومتواصل معه، يشكله ويذوب فيه.

ويرى موريس بلانشو "Mourice Blanchot" أن الزمان في العمل الروائي "عبارة عن لفظ وحيد يقع على أكثر التجارب اختلافاً، وهو يتميز حقاً بشيء من الأمانة المتيقظة؛ إلا أنه بما هو مترابط مترام، يتحول ليشكل حقيقة جديدة تكاد تكون مقدسة"⁽¹⁾ انطلق فيه الروائي من الزمان الحاضر جزائر ما بعد الاستقلال أي: بعد خروجها من مرحلة الاستعمار.

فينطلق من مرحلة محدودة 1988/10/10 و التي تمثل الواقع المرّ حيث كانت المدينة "تظهر وكأنها أنيقة أو - بالأحرى - هادئة أو شبه ساكنة على الرغم من الدبابات الرابضة في النقاط الحساسة منها والركام والحطام والواجهات المحروقة والبنيات المحطمة والزجاج المبعثر، وشظايا الفلز المهشمة والسيارات المكسلة... وتتلاشى المظاهر المرئية فتحل محلها وشائج الروائح النتنة تخالطت فيها روائح الزيوت المحرقة، فتصاعد بشكل صفائح تكاد تكون صلبة تتسابق من تحت إطارات السيارات المبعجة المشوهة فبدت أشباحاً غريبة ازدهمت بها الطرقات والأرصفة ازدحاماً عشوائياً فوضوياً"⁽²⁾ فيشير إلى زمان الهدم والخراب، بعدما مرت الجزائر بمرحلة البناء والتشييد.

و يشير هذا إلى دلالات تستقطب قيماً جديدة تقوم على صراع ثنائي القطب في شكل تناظري بين الماضي والحاضر، من صراع داخلي بين جيل ما بعد

(1) Mourice Blanchot ,Le Livre a venir Gallimard , Paris 1959 , P 21

(2) الرواية ص : 13

التحرر الذي ساهم بالأمس في تحرير البلاد وبنائها " لقد انتهت الحرب هي أيضا منذ ستة وعشرين عاما " (1) والسلطة بين شعب ثائر " فكان المتظاهرون قد نسفوها " (2) فانقلب أسفلها أعلاها و أعلاها أسفلها مسقطا اللوحة الحاضرة على الماضية المجسدة للصراع بين قوى التحرر والعدو الفرنسي الدخيل .

و لا تختلف هذه الدلالات عن تلك الدلالات الزمنية التاريخية ، فالروائي انطلق من لحظة التاريخ الحاضرة ليربطها باللحظة التاريخية التي أنتجها واقع المدينة بعد تلك المظاهرات ، وكيف كانت ساحة الأمير عبد القادر قبل الاستقلال ، وكيف أصبحت بعد الاستقلال .

فيربط الحاضر بالماضي ؛ بل وكأن الماضي قد أعاد نفسه مرة ثانية ليشهد على حال مدينة الجزائر العاصمة بعد التحولات الاجتماعية التي فرضتها الأحداث التاريخية .

فالنص يرصد لنا حركة التحول في المجتمع الجزائري ، ويكشف عن الدلالة الاجتماعية للمرحلة التي عبر عنها الروائي ؛مرحلة قد مورس فيها على مدينة الجزائر جملة من الصراعات الناتجة عن تصادم الأفكار والرؤى والتصورات فكان الزمان هو الفاصل بينها .

" المدينة (إذن) مهزوزة.انقلابت أسفلها أعلاها ، وأعلاها أسفلها ، سافيتها على عاليها فأوشكت على الانهيار والامتساخ فكادت تضيع مزاجها العام وفقدت أبهتها وشموخها أياماً فقط بعدما عمتها المظاهرات و الهيجان الشعبي ، والمؤامرات الداخلية فمكثت واجمة مصدومة بتأرجحها الخوف والهلع ، خاصة

(1) المصدر السابق ص 23

(2) المصدر نفسه ص 14

وأن موقعها الجغرافي زرع فيها ميلا بارزاً إلى الهاوية " (1) هذا الميل الذي يجسد قيم الماضي وأفكاره ، والحاضر بوثباته ويجعلها تنسجم في سياق أيديولوجي ثائر كما ثار بالأمس على المستعمر لاستعادة سيادته وكرامته .الآن يثور ضد سلطته ويصب جم غضبه على المدينة التي " أصبحت علما اقتصاديا عويصا وصعبا ، وفنا خطيرا في الغش و التدليس وطريقة جهنمية لربح الأموال وتدليسها بسرعة فائقة في وضح النهار وأمام الملأ .

وأسلوبا في الغش والاختلاس و الغشي ، مما جعل من أصحاب هذه المغارات أناساً لا يتفوهون إلا بكلمات اقتصاد السوق ، وقانون العرض والطلب وأحكام السوق فامتلات رؤوسهم أعمالا غوغائية لا هم لهم سوى الاحتكار والجشع والأرباح السريعة ونهم الأموال وامتلاك الأرزاق التي يرغبون في اختيارها وكلهم لهفة في تكديس البضائع وتخزينها (سنوات) في أماكن سرية فيبيعونها بأثمان خيالية " (2) هكذا أصبحت المدينة ، وسكان المدينة بعد سنوات الاستقلال " أنا ما عملت والو يا حكيم قتلهم الشعب هو اللي ثار على خطرناش كره حياتو " (3) .

و بالإضافة إلى هذه الشريحة الاجتماعية التي تعرضها الرواية والتي تبدو من خلال موقفها الأيديولوجي للشخصيات في مسارها الحكائي ، نجد تجسيد لذلك الاختلاف القائم بين التوأمين بشريحتهما الاجتماعية الماضية التي مثلها الأب حسان والعم حسين ، وبين الأبناء الراوي وأخوه التوأم ، فأظـهـرت

(1) المصدر السابق ص: 60

(2) المصدر السابق ص: 20

(3) المصدر نفسه ص: 60

التصرفات والمواقف المتباينة عند التوأم الذي يتصل بأخيه الآخر بعدة روابط ووشائج أخوية من التكوين إلى الولادة إلى ما بعد الولادة .

فالمسار الزمني الاجتماعي في نص فوضى الأشياء يسير في اتجاه معاكس لحركية الزمن الطبيعية ، فالشريحة الاجتماعية التي أعادت المدينة إلى شكل فوضوي كل ما فيه يجعل الذاكرة تسترجع تلك الأيام الاستعمارية التي كانت فيها المدينة تنن ، فحاول الراوي نقل أفكار الحاضر التي تصب في قالب أيديولوجي يسعى جاهداً إلى تغيير الأوضاع كما غيرتها الشريحة الاجتماعية في الزمن الماضي زمن الاستعمار.

وكان هذا الصراع يعبر عن " تحول تاريخي للطبقة المتوسطة من شرائح معدومة من أية امتيازات تدفعها للدفاع عن وجودها، إلى طبقة برجوازية ذات امتيازات تدفعها للصراع من أجلها ، ليجعل من هذا التحول لحظة التفجر المأسوي الناجم عن تقاطع خطي الزمان و المكان"⁽¹⁾ .

فالفوضى التي غطت المدينة هي ردّ فعل يعكس رفض أبناء هذا الجيل الجديد لواقعهم ، ومحاولة التخلص منه ؛فهذه الانتفاضة الجماهيرية الشعبية التي توحى بالتذبذب و التناقض في نفس الوقت " خمس أيام من الانتفاضات والهيجانات والمجازر"⁽²⁾ واقع مرّ يصبو إلى التحرر من قيود قد تنامت وعششت ، وأصبحت تقبع على صدره .

(1) غسان إسماعيل عبد الخالق ، (الزمان ، المكان ، النص) اتجاهات في الرواية العربية المعاصرة في الأردن "1990/1980" ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1993 ب ، ت ، ط ، ص70

(2) الرواية ص 96

ويكشف هذا الخطاب الروائي أيضا على نوع الوعي الذي يفسر دلالة الزمان الاجتماعي الذي يسيطر عليه حب الوطن ، والدفاع من أجله بدلا من إتباع نزوات النفس الدفينة والتي لا تنقضي بدأ من أبيه حسان سواء في علاقته بزوجته التي اتهمها بالزنا يوم 11/02/1956 م نفس اليوم الذي تم فيه اعتقال المناضل الشيوعي ، وكأن هذا التاريخ أصبح يمثل الخيانة والغدر " إني كنت على علم بأن عويلها هذا لم يكن سببه إعدام العامل الشيوعي و الوطنيين الآخرين وقد تجاوز عددهم 216 شهيدا إلى يوم 11/02/1957 فقط بل كان سببه هو مصيبتها هي أيضا كارتتها المتجسدة في تهمة الزنا التي اتهمها بها الأب فجأة تلك التهمة القذرة الرهيبة " (1) وهكذا أصبح هذا التاريخ بالنسبة لأم منعرجا للخبية، وللمأساة التي لم تكن لتعرف لها سبيلا.

دخلت الأم عالما صوفيا بعد أن أصبحت " سجيننة منزلها بين أبنائها وبناتها وآلة الخياطة وآلة الطبخ...وعاشت بقية حياتها منزوية ، معتزلة ، منعزلة ، متقشفة " (2) وهي معجبة بروائع رابعة العدوية فأصبحت تردد قصائدها الشهيرة.

ويستمر النص الروائي يكشف لنا الوعي الاجتماعي و الواقع من خلال تلك الشخصيات والعلاقات الاجتماعية التي كانت تربط بينهما وخاصة في ذلك المنزل الواسع التي كانت تظله أشجار التوت ، بل تحجب النور أحيانا بحركتها الدائمة والمستمرة في اتصال بين الرجال والنساء وهذا " الاتصال بين الرجال والنساء

(1) المصدر السابق ص : 102
(2) المصدر نفسه ص : 102

في الرواية... لا يمكن ضبطه في نقطة معينة" (1) ولكنه يجسد التحول الذي شاهدته مدينة الجزائر ، والذي خاضه أبناءها في الماضي والحاضر.

النظام الزمني وعلاقته بالأحداث :

يعد العنصر البنائي الزمني في الملفوظ الروائي عنصراً مهماً لأنه يحيل على خلفيات فكرية أيديولوجية ، وزاوية نظر خاصة بالراوي ، فلا يخضع الزمان داخل العمل الروائي لصيرورة القصة ، بل إنه يخضع ببدء التنفيذ لحيل التراكم وللأشكال السردية .

فينشأ من هنا التمييز الأساسي بين المستويين الزمنيين الدّين حدّدهما "جون ريكاردو" في تحليله للزمن الروائي زمن السرد ، زمن القصة كما أشرت إلى ذلك في الفصل الأول النظري، ولهذا يقتضي التمييز بينهما لأن " زمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي " (2) لأنه يسير في خط تصاعدي ينمو نمو أحداث الرواية ليصل به الراوي إلى النهاية المرجوة في ذهنه ، فهو يتلاعب بالنظام الزمني متعمداً الاستباق ، والاسترجاع كما قد يلجأ للاستشراف أشياء لم تقع بعد .

أ / زمن السرد:

ينبثق الزمن السردية في الملفوظ الروائي " فوضى الأشياء " لرشيد بوجدره من الواقع ، والذاكرة فخط الاستدكار واسترجاع الوقائع الماضية ، المنقضية يشكل المعمارية الزمنية السردية ، فينطلق الروائي من زمن إلتقائه بأخيه التوأم كما

(1) بيرسي لوبوك ، صناعة الرواية ، تر: عبد الستار جواد ، الدار الوطنية للتوزيع والاعلان بيروت دار الرشيد للنشر بغداد 1980 ب ، ت ، ط ص 51

يسميه "الزيقوطو" (zygoto) في ساحة الأمير عبد القادر ، واصفا الحوار الذي دار بينهما فيسمعه يقول : " إذا كان ما تخافش من ربي خمم على الأقل في أمنا المسكينة اللي بقات تتعذب في قبرها على جالك ... " فبقيت في مكاني مسمرأ كالمشده كالمعتوه مذهولاً مذعوراً مبهوتاً فزعاً ... بقيت مشنح الحلق فأحاول التفوه بشيء ، بكلام ، بلفظ أتلفظه بدون ما جدوى مفكراً فقط في ذاتي وفي عمق أعماقي : " خلي يمي في قبرها وشوف حولك واش صاير " (2) ، وهو في هذا الموقف إذ تعود به الذاكرة لثلاثين عاماً خلت .

فيقارن بين صورة المقهى الذي قد تحطم تحطيماً هائلاً بتفجير قنبلة ضارية ناسفة، أما الآن فقد أحرق من جديد ، و"دمر شرّ تدمير فتحول إلى ركام حجر وحديد وخشب" (3) كما استعادت ذهنية التمثال الذي وضع مكانه تمثال الأمير عبد القادر " كان في نفس المكان لثلاثين عاماً تمثالاً آخر يحاكي هذا التمثال ضخامة ويهيمن على الساحة هيمنة عشوائية ... ولا فرق بين التمثالين سوى أن الأول كان يمثل جنرالاً فرنسيا يرتدي زياً عسكرياً وقبعة عسكرية ويمتشق سيفاً عسكرياً، فيما هذا يمثل أميراً جزائرياً يرتدي برنساً عربياً، ويمتشق سيفاً عربياً فيهيمن على الساحة الصغيرة هيمنة... " (4)

(1) حميد لحميداني " أسلوبية الرواية " ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، المغرب ، 1989 ،

ط "1" ص : 81

(2) الرواية ص : 12

(3) المصدر نفسه ص : 11

(4) المصدر نفسه ص : 11

و في الواقع الروائي يستعيد صورة الماضي ، صورة الثورة وصورة المدينة،
أبانها انطلاقاً من صورة الواقع المخربة والمدمرة فتحوّلت " من جديد إلى حطام
تحت أيدي المتظاهرين الغاضبين " (1) فأصبح مظهر المدينة بين كيف كانت
وكيف أصبحت هو ما يشكل الثنائية الضدية التي بنى الروائي نصه عليها.

ففوضى المدينة تشكل المعمارية الزمنية لكل أجزاء الرواية والتي استهلّت
بتواريخ زمنية منطقية، فالجزء الأول يمثل الواقع؛ بل الحاضر عند الروائي
10 أكتوبر 1998م تاريخ تلك الانتفاضات الجماعية و الشعبية ، أو شيء آخر مما
يطلق عليه عادة من أسماء كاسم الثورة بمعناه الإنساني أو الجيولوجي أو
الجغرافي أو السياسي على السواء " (2)

ويستعيد الماضي في نفس الجزء ليعبر عن الحياة الاجتماعية الأسرية التي قد
ترعرع فيها هو وأخوه، وكيف عاش أبوه وعمه مع جدته، وها هي أمه تكرر
نفس الشيء مع أخيه التوأم الذي يرى بأنه يصغره بثلاث دقائق فقط (3) وأما الجزء
الثاني فهو بتاريخ 11 فيفري 1956م انطلق فيه من واقع المدينة المهشمة التي
رأها " دامية مرضوضة متلاشية ..قطع من اللحم البشري إذن كثيراً ما تدلّت من
جثث المصابين بالرصاص أو المتلفين بالنار ... ويقبع المتمردون وكأئهم في
حالة الذهول. أو حالة من صدمته صدمة فجأة حاملين لافتاتهم وقد بسطت الآن
طولا وعرضا، فظهرت الشعارات عليها واضحة تهجمية فاقعة " نريد عملاً،

(1) المصدر نفسه ص 11

(2) المصدر نفسه ص 12

(3) المصدر نفسه ص 88

كفانا إهدار حياتنا هدرًا . أو نهاجر ولا نتاجر ولا ندير كيف ماجر " (1) ليخلق
 بخياله وذاكرته وذهنيته فيسرد قصته مع أخيه التوأم ومع أبيه، ومع معشوقته
 "سلين" وهو يسرد عليها ذكرياته و "عندئذ كنت أسارع إلى إرضاء رغبة
 "سلين" (أم الين)؟ فأبسط عليها ذكرياتي بسطاً كنت أشعر من خلاله شيء بلا واقع
 ليس هو بالعجيب الخارق للعادة، بل بلا واقع غير لائق ولا مناسب. (2)

وينبغي أن نلاحظ أن الزمن الذي عنون به الجزء الثاني هو تاريخ اتهام أبيه
 لأمه بتهمة الزنا، والقبض على المناضل الشيوعي الذي حكم عليه بالإعدام في
 24 نوفمبر 1956م. كما يدل على اتحاد السارد لقرار الالتحاق بالمقاومة، مما خلق
 تداخلا في النسق الزمني السردى، وهذا يدل على تنقل السارد بين الحاضر الواقع
 والماضي الذاكرة.

ومن ذلك أيضا الجزء الثالث المؤرخ ب 11 فيفري 1957م هذا التاريخ
 السردى بالنسبة للجزء الأول، المنطقي بالنسبة للجزء الثاني والذي ارتبط بتنفيذ
 حكم الإعدام على المناضل الشيوعي ذو الأصل الأوربي الاشتراكي، ابتداء هذا
 الجزء بعد عودته من المقاومة فانطلق يستعيد الذكرى التي جمعه ب"سلين"
 (ألين؟) مستشرفا بعض الأحداث " كان يطيب أن تسمعني أتحدث - نادرا - عن تلك
 الفترة غير الثابتة اذكر منها صورا مشكوكا فيها ورسوما أمامية كبرى وغير دقيقة

(1) المصدر السابق ص 109

(2) المصدر نفسه ص 162

بلغت من الوضوح في ذاكرتي مبلغا بعيدا بما فيه محولة اغتصابي من قبل الضابط الأحذب وهو أحد أعضاء قيادة المقاومة في المنطقة التي التحقت بها. (1) و هكذا يتوصل الزمن السردي للأحداث عند السارد وكأنه يريد أن يحدث فوضى تذكارية من خلال تداخل هذه التواريخ.

وبالإضافة إلى ذلك فإن زمن السرد في فوضى الأشياء خضع لتقنية السارد في عرضه للأحداث لأن (مسيرة الزمن وتأثيره يرجعان إلى صلب الموضوع) (2) إذا اعتقدنا بأن ألالستقرار و الاستقرار لا يمكن طرحها إلا إذا أمكننا إدراك عجلة الزمن، وعجلة الزمن مرتبطة بالاستذكار الذي لا يمكن قياسه بالسنة أو الشهر أو الساعة، بل يتجسد بسرعة العودة إلى الماضي، واستحضار الأحداث، وربطها بالواقع.

ولذا يمكننا القول بأن زمنية السرد عند "رشيد بوجدره" هي بالأساس زمنية ارتجاعية ذهنية تنطلق من الواقع لتسبر أغوار الماضي الذي جرت فيه تلك الأحداث، ومبعثها الارتجاعي تلك الصورة التي ظهرت بها المدينة من خلال خمسة أيام من المظاهرات، وفرض حالة الطواري، والتي تشبه وتحاكي حال المدينة زمن الاستعمار أو كمدينة أصابها زلزال أو طوفان أو انفجارات بركانية، فكان زمن السرد متراوح بين الحاضر والماضي بين الواقع المعيش والواقع الآخر المنبعث من الذاكرة المستشرف أحيانا في ثنايا السرد ليشكل البناء الفني للعمل الروائي في شكل بديع.

(1) المصدر السابق ص 183

(2) بيرسي لبوك ، صناعة الرواية ، تر: عبد الستار جواد ص55

ب / زمن القصة :

زمن القصة وهو زمان الأحداث و الوقائع مرتبة و متتالية وفق شكلها المنطقي لا كما يراها الساردة فهو" يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث"⁽¹⁾ ومن خلال لجوء السارد إلى التوثيق التاريخي بإشارته إلى تواريخ معينة جعلها انطلاقة كل جزء من أجزاء الرواية.

و يتضح لي من ذلك النسق اللاترتيبي والتجاوز بل التلاعب بالخطية الزمنية المنطقية، فهو ينطلق من تاريخ 1988/10/10م تاريخ المظاهرات، التاريخ الذي قلبت فيه المدينة عاليها سافلها و سافلها عليها ليعود في الجزء الثاني إلى تاريخ 1956/16/02/11م وهو تاريخ سابق للأول من حيث الصيرورة الطبيعية للزمن أما الجزء الثالث فيأتي منسجما من حيث الوقائع والأحداث والتطور الزمني للجزء الثاني الذي أورده بتاريخ 1957/02/11م.

وعليه فإذا نظرنا لموضوع الرواية في نظامه الزمني فإننا نجد في بعض الأحيان يتبع زمنية القصة من حيث تواريخ الوقائع والأحداث فعندما يتحدث عن الماضي عن الأجداد الذين شقوا دروبا نحو شوارع المستقبل الواسعة، وسجل تواريخ لا تمحى على خرائط المقاومة ضد العدو (1830/1849/1871/1881/1911/1945/1954... وهي تواريخ منقوشة في تكوينه التاريخي الأول)⁽²⁾ فنذكر أن هذا التسلسل والترتيب التاريخي يعكس جانبا من زمن القصة المتوالي.

ولا يلزم من هذا سوى أن السارد يسرد لنا من الذاكرة، تلك الذاكرة المتشظية،

(1) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ص 73

(2) الرواية ص 132

فهو يروي تارة عن واقعه، وتارة عن طفولته وشبابه، وعن علاقته بأمه، وأخيه وعن أسفار أبيه، بل تارة يعود للزمن الماضي زمن الحرب ليقص عن مشاركته في الحرب .

ويستمر الحكى تارة أخرى عن ماضي أسرته البعيد المنبعث من خلال صورة جدّته " جدتي يوم وفاتها بعد تنظيمها الأمور بطريقة مسرحية طفسية احتفظت منها بصورة التقطت لها وهي على فراش الموت. الصورة بنية اللون مهتزة وضبابية، أما تمسرح الجدة فكان رائعا ولو ظهر وجهها على شيء من الشراسة الممقوتة والمتهكمة الساخرة في آن واحد" (1) فهذا الزمن كشف عن الوصف لجدّته بل هو سمة للزمن الماضي الذي عاشت فيه.

ويمكننا أيضا الوقوف عند النظام الزمني في القصة عن طريق تتبع المسار الترحالي للأب حسان وفق المسار السردى (2):

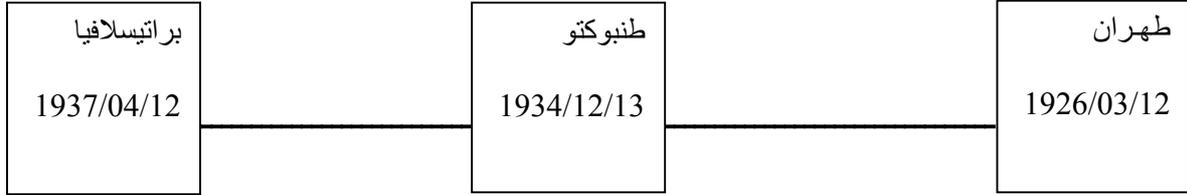
براتيسلافيا	1937/04/12	حسان	ص28
طنبوكتو	1934/12/13	حسان	ص85
طهران	1926/03/12	حسان	ص116
طهران	1926/03/12	حسان	ص227
طنبوكتو	1934/12/13	حسان	ص270

(1) المصدر السابق ص 34

(2) تزفتان، تودوروف، رولان بارث، امبرتواكسو، مارك انجيتو، "في اصول الخطاب النقدي الجديد "

تر: أحمد المدائني دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1987 ط (1) ص 88

و مع تجنب التكرار الواقع في فصول الرواية نحاول أن نعيد ترتيب الأحداث وفق تسلسلها الزمني الطبيعي لتواجد حسان.



و من هنا نجد عدم التطابق بين نظام الزمن السردية، ونظام زمن القصة، مما يحدث مفارقات سردية لأن الروائي يكسر زمن القصة، ويتلاعب بالزمن منطلقاً من حاضر إلى ماضي، ومن ماضي قريب إلى ماضي بعيد ، وهكذا يحدث ما يسمى بمفارقة زمن السرد مع زمن القصة وهذا ما يذهب إليه النقاد الرواية البنائيين .

و لهذا يجب أن نرسم زمن السرد للرواية من خلال تواريخ الأجزاء والتي نجدها على الشكل التالي:

1988/10/10م 1956/02/11م 1957/02/11م

وتبدو هذه المفارقة السردية بين نقطة انقطاع السرد وبداية الأحداث المسترجعة ندرك مدى المفارقة كما يرى "جرار جنيت " فبذلك يحاول الروائي

أن يعبر عن مدى تلك المفارقة بمدة زمنية محدودة " كان في نفس المكان لثلاثين عاماً مضت تمثال آخر يحاكي هذا التمثال ضخامة " (1) فهي تمثل لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد ليترك المكان لهذه المفارقة بين الزمنيين والتي قد تطول وقد تقصر " فمدى المفارقة يتحدد بين بداية اللحظة المفارقة في زمن القصة، وبدايتها في زمن السرد سواء كانت استرجاعاً (استذكراً) أو استباقاً لأحداث لاحقة " (2) وهذا ما تجسد في هذا النص.

ويلزم من خلال معرفتنا المفارقة بين النظام الزمني للقصة مع النظام الزمني السردى ومدى هذه المفارقة يمكننا أن نقيس سرعة السرد من خلال طول النص وعدد صفحاته، وسطوره وعلاقته بمدى الوقائع والوقت الذي تستغرقه من خلال التقنيات السردية وتتبع إيقاع مقاطع الحكى وتباينها للوصول إلى الإيقاع الزمني من خلال الخلاصة، والاستراحة، والقطع، والمشهد، حسب ما يقترح " جرار جنيت " (3).

فالخلاصة تبدو جلية في الملفوظ الروائي "فوضى الأشياء " من خلال اختزال الأحداث الواقعة بين سنوات 1956 - 1988 في صفحات بلغت بتكرار ما تكرر إلى 300 صفحة دون تفصيل للأحداث و الوقائع القائمة بين 1957 - 1988 بالتحديد.

ومن ذلك أيضاً الاستراحة والتي تعني انقطاع السيرورة الزمنية لغاية الوصف وهذا ما نجده في عدة مواقف يلجأ فيها إلى الوصف وتوقيف الزمن، فوصفه

(1) الرواية ص : 11

(2) حميد لحميداني ، بنية النص السردى ص:75

(3) انظر الفصل الأول ص: 22

للجدة من خلال تلك الصورة التي استحضرها أثناء السرد الزمني لموت فاطمة تحت عربة الترامواي من لصفحة 33/34/35/36 إلى الصفحة 37 في قوله: " ثم أنا واقفا أمام باب المنزل" (1) هذه الاستراحة ليست من طبيعة الرواية نفسها.

وعليه فإن المقطع في النص لا يكاد يصرح به " رشيد بوجدره " من خلال نصه بل ندركه من خلال تلك المحطات الزمانية المكانية التي تلغي التفاصيل الجزئية للأب حسان - طهران 12/03/1926م - حسان - طنبوكتو 13/12/1934 - حسان - براتيسلافيا 12/04/1937 - حسان نفسه يظهر مظهر السرعة في عرض الوقائع وعدم التفصيل فيها.

ولإعطاء السرد مظهر السرعة عن طريق الحوار الذي يمثل تلك اللحظة التي يكاد فيها زمن السرد يطابق زمن القصة من حيث مدة الاستغراق والذي يقصد به المشهد وهو قليل في النص الروائي، لكننا نلمسه من خلال الحوار القائم بين السارد وأخيه التوأم والذي دار بينهما هذا الحديث عن أمهما " ثم اسمعه يتلفظ فجأة قائلاً : " إذا كان ما تخافش من ربي خمم على الأقل في أمنا المسكينة ... " (2) وهو يرد عليه لا توا خذني لكنني مزروب هذا الصباح إنني في طريقي إلى المشفى " (3) يتخلل هذا الحوار صمت وتأمل وحوار داخلي.

وهكذا يمكن أن نقول بأن مستويات الزمن داخل الملفوظ الروائي "فوضى الأشياء" تركز على تلك الدلالات التاريخية و الاجتماعية المحملة بالأيديولوجيا

(1) الرواية ص : 37

(2) المصدر السابق ص : 12

(3) المصدر نفسه ص: 12

الفكرية للمجتمع الجزائري في المدة الزمنية المؤطرة في النص والتي تعكس الوعي الاجتماعي في ثورته على الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي كبل بها في الزمن الحاضر، وفي ثورته على المستعمر الذي سلب منه حريته في الزمن الماضي.

أما النظام الزمني فنجد أن زمنية العمل الروائي تتسم بخط تصاعدي، فهي تشكل مستوى من الوعي والنضج الفكري عند الشعب الذي يعبر عن رفضه للواقع المعيش في الحاضر كما عبر الماضي عن رفضه للواقع الاستعماري

فالزمان في أي قسم من أقسام روايته يعكس بشكل واضح ومباشر توزيع الزمن في كل قسم منها⁽¹⁾ وهذا ما توصلنا إليه أيضا من خلال أجزاء هذا الملفوظ الروائي الذي تقابل في كل جزء منه الزمان بين الحاضر والماضي.

(1) قادة مبروك ، رشيد بوجدره في ضوء المؤثرات الأجنبية ، " معركة الزقاق نموذجاً " رسالة

ماجيسثير في الأدب المقارن إشراف: د/ بن عبد الله لخضر 1997م ص 201

مستويات الأمكنة في رواية فوضى الأشياء.

الفضاء المكاني للملفوظ الروائي :

1/ الفضاء الجغرافي :

يشرب هذا الملفوظ الروائي إلى رسم المكان بالمفهوم الجغرافي الذي أشرنا له في الدراسة النظرية رسمياً ، يقف فيه الروائي على ملامح جغرافية بدأ من الساحة الصغيرة في وسط المدينة أين زرع في منتصفها تمثال ضخ لأحد أبطال المقاومة الوطنية، مرورا بالمقهى والشارع والمستشفى ثم البيت ... ، فهو يقدم في نصه جملة من الإشارات الجغرافية التي تشكل نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القاري (1) فهو يمثل ذلك المكان الذي يصور لنا فيه الروائي قصته المتخيلة، والتي يحرك فيها الشخصيات فهو يوحي إلى البعد الجغرافي الحسي ؛ أو الحيز المحدود الذي يشكل ديكورا أو ايطارا للأفعال والأحداث.

فالمكان الجغرافي في رواية " فوضى الأشياء " يمتلك أهمية خاصة ، لأنه يتعدد ويسهم في رسم مسار الرواية السردي ، فيتسع لاحتواء جميع الأحداث في حين يضيق ليعبر عن شخصية واحدة أو إثنان كحال المتكلم - الروائي - لما يعبر عن نفسه ؛ في غرفته داخل بيته، فالمكان الجغرافي محدود وثابت، إلا أن الشخصيات تغنيه وتؤثر فيه، وبالتالي تبدو الرواية مرتبطة بالحاضر المبني على الماضي أو بالأحرى الحاضر الذي يعيد ذكرى الماضي.

وبتتبع حركة وعي الشخصية الروائية في تنقل ذاكرتها عبر الزمن من

(1) حميد لميداني "بنية النص السردي ص 53

مكان إلى آخر من خلال سياحتنا عبر الحيز - نص الرواية - فإنه يبدو لنا عنصر المكان فيها كيانا محسوسا وواقعا حيا، لايحتاج إلى وصف نتعرف عليه من خلال حركة الشخصيات فيه، وتفاعلها معه ، وكذا من خلال خط السير " إذ يظهر المكان على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه "(1) وكذلك من خلال منظور شخصية الرواية المشاركة والفاعلة على المستوى الذي تنطلق فوqe الأحداث، وليس من خلال الشخص المراقب والبعيد عن دائرة الأحداث. ولما كان هذا الملفوظ الروائي عبارة عن حياة رسمها الكاتب لنفسه و أخيه التوأم، وذلك المناضل الشيوعي الذي برز كرمز للتحدي والصمود على مستوى أزمنة الوقائع، وسياحة في الماضي من خلال الحاضر، واسترجاع الأحداث و الأمكنة الماضية التي تبدو وكأنها مستمدة أو مستلهمة من الماضي ، فإن رحلتنا في قراءة هذا النص تفضي بنا إلى نوعين من الأمكنة :

أ/ الامكنة المفتوحة :

إن الفضاء الجغرافي المفتوح يعبر عن تلك الأماكن التي تلتقي فيها أعداد مختلفة من البشر وتزخر بالحركة والفوضى، التي أشار إليها الروائي بشكل عم عليه الوصف الدقيق " تلك الساحة الصغيرة في وسط المدينة وقد زرع في منتصفها تمثال ضخم ... وإذ بي أمام المقهى وقد تحول من جديد إلى حطام تحت أيدي المتظاهرين ... والعمارات تتناثر حطامها... "(2) يلزمي نمشي للمستشفى .. راح علي الحال .. المدينة تظهر وكأنها أنيقة (3)، مشيرا إلى بعض الأمكنة

(1) سيزا قاسم " بناء الرواية " الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1984 د/ط ص76

(2) الرواية ص : 11

(3) المصدر نفسه ص : 12

المفتوحة المحدودة " أمام الحانات المفجرة ودكاكين الكحول المبكرة " (1) ففي مثل هذه الأماكن يتحقق التواصل بين مع الآخرين، ويقضى على الشعور بالعزلة و الوحدة، لكثها ومن خلال النص تبدو موحشة وكأن الواقع حولها من طبيعتها الأصلية لتعبر عن واقع مرّ.

تحولت فيه المدينة من تحقيق التواصل إلى اللاتواصل، وفي الغالب وصف لنا هذه الأماكن وصفا يدل على ملامحها، وجغرافيتها من خلال الفوضى العارمة التي كانت تميزها . " المدينة "إذن " مهزوزة انقلبت أسفلها أعلاها و أعلاها أسفلها - سافيتها على عاليها - فاوشكت على الانهيارو الامتساخ فكادت تضيع مزاجها العام وفقدت أبهتها وشموخها أياما فقط بعد ما عمته المظاهرات والهيجان الشعبي والمؤامرات الداخلية. فمكنت واجمة مصدومة يتأرجحها الخوف والهلع، خاصة وأن موقعها الجغرافي زرع فيها ميلا بارزا إلى الهاوية أي : التوجه الفطري إلى الميناء، فاستمرت على حالها وكأنها على وشك السقوط في البحر" (2)

هذا الوصف الذي طبع به الروائي أمكنته الجغرافية ليكشف عن دلالتها التي ما فتئت أن تغير مدلولها ، ونقد دلالتها الحضارية ، " لأن المكان معلم الذات الحضاري، وأحد إحدثياته ... وهي أطراف من هوية الأنا الحضارية " (3)

فمدينة الجزائر بساحاتها وعماراتها وإطلالتها اللامحدودة على المناء أو بالأحرى البحر تلعب دوراً هاماً في الحياة العامة للأشخاص إذ من خلالها تطل المدينة على العالم الخارجي وعلى التاريخ بالإضافة إلى أنها الفضاء المكاني الخاص بالحركة

(1) المصدر نفسه ص: 13

(2) المصدر نفسه ص: 15

(3) سليمان عشراطي، الأدب العربي والرواية الجديدة ، تجليات الحداثة ، العدد- 3- جامعة وهران ص: 58

التاريخية ، والتجمهر السكاني ، والتبادل الفكري فوصفها لم يكن اعتباطيا في النص الروائي والمقارنة بين واقعها الماضي حين " اقتحم الأجانب حرمتها ، وارضحوها وأطاعوها ونهبوها ، ففعلوا ما فعلوا ، واستعمروا ما استعمروا بعد أن ترصدوا لها مدّة ثلاثة قرون" ⁽¹⁾ فهي فوضى خلفها الاستعمار في هذه المدينة بعد أن عاث في الدّيار فسادا يجسم على الواقع بفوضى من طراز خاص يحول تلك الأماكن الجغرافية من حال إلى ما كانت عليه بل أشد وانكى مما كانت عليه أثناء الاستعمار.

فتظهر المدينة وكأنها فاحشة مثيرة للشفقة ، فوضوية بغازاتها العبوسة، والمنفرة ، حسبعاتها لكنّها تضاعفت شراسة وقبحا منذ أن نهبت وسلبت وبقرت وأفرغت من كل ما كانت تحتوى عليه من مواد غذائية... " ⁽²⁾ لأن مثل هذا الوصف يجعل المكان الجغرافي المفتوح يحوي شخوص الملفوظ الروائي .
وسرعان ما انفلت الخيط إلى أمكنة أشد انفتاحا ، وهي تلك الأمكنة التي تحمل أسماها الطوابع البريدية من بينها : واقدوقو ، تيتيكاكا ، زانزيبار ، سفيناكي ، طمبكتو... " ⁽³⁾ إلى جانب الأمكنة التي ينتقل إليها أبوه حسان "براتيسلافيا" 1937/04/12 ، حسان "طمبوكتو" 1934/12/13 ، حسان " طهران " 1929/03/12 ⁽⁴⁾ فرسم "المكان بالمفهوم الجغرافي رسما عجيبا

(1) الرواية ص: 15
(2) المصدر نفسه ص: 20
(3) المصدر نفسه ص: 21
(4) المصدر نفسه الصفحات : 116/99/28

بالتعميم على ملامح جغرافية ، وطمس معالمها ، وتدمير حدوده بحيث تغذي أسماء الأمكنة الجغرافية في الغالب ، أي شيء إلا أن تكون مكانا في الغالب وارداً على المألوف ما نجد عليه الأمكنة في الكتابة الروائية ذات البنية السردية التقليدية " (1) في المناطق الجبلية تخرج من مفهومها الجغرافي كمنطقة جبلية فقط إلى معنى المقاومة والالتحاق بصفوفها كما تدل على تلك الجهة التي كانت مفتوحة أمام العدو الفرنسي ، فتصبح الأمكنة الجغرافية في الغالب غير المكان المألوف الذي تعرفه خارج السياق .

فيصبح المكان أفقا يمتد ، والزمان والأنسان فعلا يتصاعدان ثم ينقطعان عند لحظة تفجر عارمة ، هي ما يحتفظ لنا به التاريخ (2) فيتخلى المكان كفضاء جغرافي عن مدلوله ليكتسب مدلولاً آخر هو ناتج عن الانفجار النصي ليعطي أبعاداً أخرى مسطحة للمكان .

وتتحول المقهى فتصبح حاملة لدلالات تاريخية يرتسم من خلالها الزمان ، وتعاد الذكرى وبهذا " ينأى الزمن بوقره على المكان وتدور دورته على الإنسان فتتغير وجوه ، وتتقاطع مصائر ، ويغدو المقهى فضاءً تاريخياً شاهداً على زمن من حياة القرية قد انصرم " (3) وهذا ما عبر عنه الروائي لما حكى عن تحول المقهى من رمز تاريخي إلى عصرنة حديثة " ومن جهة أخرى ... أحد المقاهي

(1) عبد المالك مرتاض ، بنية السرد في الرواية العربية الجديدة ، الجنازة نموذجاً ، تجليات الحداثة ، عدد 3- ، جامعة وهران 1993 ص :19

(2) غسان إسماعيل عبد الخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، اتجاهات في الرواية العربية المعاصرة في الأردن 1980/1990 المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1993 ت ، ط ، ص :68

(3) كرومي لحسن ، جماليات المكان في الرواية المغربية ص : 12

الذي أراده أصحابه متباهياً بالمظهر العصري الحديث وعبثاً حاولوا ، وكان هذا المقهى لثلاثين عاما مضت قد تحطم تحطوما هائلا بتفجير قنبلة ضارية ناسفة . أما الآن فقد أحرق من جديد ودمر شرتدمير فتحول إلى ركام حجراً وحديداً وخشباً." (1)

وبالإضافة إلى هذه الأماكن نشير إلى تلك الأمكنة التي تخلق فضاء خلفيا كصومعة المسجد التي بقيت معلقة في الفضاء (2) تخلق فضاء خلفيا لامحدود ، فاللامتناهي يصبح عند الناس مكانا متسعا جدا ، ومن ثم ترتبط كثيرا من القيم المجردة باحداثيات مكانية محسوسة " (3) .

ومن هنا تتصل هذه الأماكن المفتوحة بفضاءات ممدودة وغير محدودة كالبحر وميناءه ، والمناطق الجبلية ، وبلاد سفر كل من حسان وحسين ، وهي بدورها توحى بالحرية ، والانطلاق ، والتفاعل مع الذات .

ب/ الامكنة المغلقة :

هذه الاماكن التي ترمز للنفي والعزلة و الكبت ، حيث الإنغلاق في مكان واحد ؛يعبر عن العجز وعدم القدرة على الفعل والتفاعل مع العالم الخارجي، وهذا ما صورلنا به الروائي صورة أمه التي منذ أن أتهمها زوجها بالزنا يوم 11/02/1956 دخلت في عزلة عبر عنها ذلك الفضاء الذي لزمته ، فضاء " ذلك المنزل الكبير الواسع الفسيح المحاط بجدران خارجية عالية كل العلو ، وفي وسط الحديقة الهائلة المغروسة خاصة بشجر التوت ، ومن بينهما تلك التوتة الكثيفة

(1) الرواية ص : 11

(2) المصدر نفسه ص : 22

(3) غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر : غالب هالسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع ،بيروت ط -4- ص : 65/64

العلاقة المتغطسة ، المتجبرة ، التي كانت اغصانها تتزاحم على زجاج نافذة غرفتي ، فكانت-أمي - إذن تقضي حياتها كلها داخل هذا الإطار المغلق ، غلقاً محكما بتكراريتها اليومية ، وتراصف أيامها المتكررة ، وتكرر ليلاتها المتتالية ، وتعاقب رزنامة أعيادها وأعراسها ومآتمها وولادتها المتواترة "(1) هذا المكان وإن نعت بالفسيح إلا أنه يجسّم على صاحبه ، فيعبر عن حالته الكئيبة ، وعن انقطاعه عن العالم الآخر ، فأصبحت في ضحكتها ، وحركاتها ، ولآمها ، وافراحها تعاني من العزلة ، وتشكو ماساتها كما تتألم على ذلك المناضل الشيوعي ، وكأنها تفصح عن حالها بلسانه .

ويحتل السجن مكان الصدارة في الأماكن المغلقة ، "حيث يضيق المكان الحابس فيصير زنزانة ، كأنها القبر كلما فيها يوحى بالموت "(2) فصورة المناضل الشيوعي الذي حكم عليه بالإعدام والذي أودع السجن ، والذي استطاع أن يرضي كبرياه منذ البداية " كان يساق يومياً قبل الساعة التاسعة صباحاً خارج السجن... نحو الشبائيك المذهبة لقصر العدالة ثم يغلق عليه في مكتب قاضي التحقيق بحضور محاميه الرئيسي ؛ الذي يبدو عليه أنه مريض لشدة خوفه من المحكمة... فقصر العدالة تبدو وكأنها سوق عربية أو برج بابل، أو مقر اجتماعي لحفار القبور ، أو مسرح لل دراويش الدوارين . "(3)

(1) الرواية ص : 91

(2) الطاهر رويحة ، الروايات وفعاليات القص . ص : 43

(3) الرواية ص : 13/133

فوجوده بين أربعة جدران في السجن وفي مكتب قاضي التحقيق ، تدل على الإنغلاق ، وكيف وهذه الحالة تلازمه في زنارته ، حتى تذكره لتلك الفيلات المخصصة للتعذيب ، والتي تحمل أسماء جميلة وسليمة كالنخلة مثلا، أو فيلا الزيتون أي : نفس الأماكن التي عذب فيها على رأس "أم وجه" الكابوس لربع قرن⁽¹⁾ أصبحت مغلقة فهي تمثل حياة الحزن والكآبة .

وترتبط الأماكن المغلقة ، والشخصيات الروائية بذكرات أليمة إذ الأماكن الجغرافية المغلقة لا تفتأ تحافظ على الذكريات وتتيح لها في الوقت ذاته الاحتفاظ بقيمتها الأساسية ، ويعكس ذلك صورة جدته ، تلك الصورة الأسطورية التي تمثل جدتي وهي على فراش الاحتضار بملابسها الجديدة البهيجة ، وتصيفتها المربعة ، ونظرتها الوقحة⁽²⁾ فهي تلك الصورة التي أراد أبوه من ورائها إدخال الرهبة في زوجته بشكل نهائي ، فكانت الصورة معلقة بالبيت " فالبيت هو عالم الإنسان الأول ، وهو وحده الذي يعطي للوجود قيمة"⁽³⁾ .

ولما كانت الأماكن المغلقة ترمز للحبس والكبت ، والقهر فإن الروائي قد عبر عن هذا النوع من الأماكن ، والتي من بينها بيت الأسرة ، الذي يوحي بالدفء والاستقرار والبساطة ، والذي يوحي لدى الشخصية الروائية نوعا من الغرابة وعدم التلائم نظرا لمعاملة أمه لأخيه التوأم ، ولم يكن يرتاح فيه إلا لفاطمة ، تلك

(1) الرواية ص : 131

(2) المصدر نفسه ص : 91

(3) غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر : غالب هالسا ص : 45

التي قضت نحبها في طريق الترامواي ، وايضا معاملة جدته لأمه ، في حين كانت متعلقة بالعم "حسين" الذي كان يعيش بين فساتينها وفي حجرها .

ويشدد انغلاق الأمكنة عندما يعبر لنا الروائي عن تلك الغرفة التي جمعته "بسليين" بقرب الميناء حيث وصف هذا المكان وصفا عجيبا، ونحن قابعان بصورة مخالفة للمعقول في صميم قلب تلك الحجرة أمام البحر وقد هداً بمفعول ارتداد أمواجه...وكلانا يحملق في صاحبه "(1) هذه الغرفة التي تعبر عن الفضاء المغلق كانت مصدر ألم، ولذة للروائي في آن واحد .

وإلى جانب ما عاشه من حنان وودّ، وألم، بلغ في النهاية للرحيل رغم شعوره بالذنب ، والتحق بالمقاومة في المناطق الجبلية التي توغلت المقاومة فيها .

هذه الفضاءات المغلقة بما فيها البيت ، والسجن ، والغرفة ، والحجرة وأماكن التعذيب ، كلها تعد أمكنة كابوسية تحتل حيزا متميزا من فضاء الذاكرة، وهي حقيقة من حقائق الحياة البرجوازية ، الشيوعية ، لأن حياة هذا الرجل الشيوعي الذي كل يوم يسجل يومياته ، ومتطلباته ويرسلها إلى زوجته "بيا" من داخل السجن لا تختلف عن حياة تلك الأم السجينة في بيتها ، المتهممة بتهمة الزنا ، فهي سجينة نفسها ، وسجينة المجتمع الذي تعيش فيه .

فالسجن كالمجتمع مكان جغرافيتظاهر المرء فيه بالحياة ، وهو في هذا النص فضاء عاكس للأحداث ، ومن خلاله تتجسد مشكلة الإنسان الأساسية ، والمتمثلة في تمرده على واقعه المعاش ، وعلى رفضه لجميع مظاهر القمع والقهر والعجز في حياته وواقعه المعاش.

ويعكس ذلك الفضاء الشخصية الروائية في ليلتها الأخيرة مع تلك الفتاة الفرنسية المتمردة ، "سولين"، والتي كانت تتحدى عائلتها المنتسبة إلى أكبر المعمرين الفرنسيين المسيطرين على منطقة زراعية خصبة ، مترامية الأطراف بالواد المالح غرب البلاد.⁽¹⁾ وبالإضافة إلى كل ذلك فإن اللغة السردية في النص الروائي كانت متسلسلة مع الفضاء الجغرافي بأمكنته المنغلقة والمفتوحة ، والممتدة والمحدودة ، والتي تتحرك من مكان إلى آخر في حلقة متكاملة ، فهي تقوم بوظيفتها كأداة⁽²⁾ مسخرة للتمكين من الوسيلة لكي تبلغ غايتها أي : أن كل الأمكنة تغتدي وسيلة للمرور إلى المكان الأول " وهو فضاء ساحة الأمير المؤدية إلى المستشفى انطلاقاً من البيت .

(1) الرواية ص : 154

(2) عبد المالك مرتاض ، بنية السرد في الرواية العربية ، تجليات الحداثة ص : 38

2 / الفضاء النصي :

إذا كان مفهوم الفضاء النصي هو الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها كما أشرنا في الجانب النظري، لاعتبارها أحرفاً طباعية على مساحة الورقة ، فإن هذا الفضاء يحيلنا على تداخلات في بنية الزمان ، وما تم ضمن هذا الإطار من الأحداث . ويهدف الروائي من وراء تقسيمه الملفوظ الروائي إلى ثلاثة أجزاء ، إلى وضع توازن من حيث الشكل ليبرر الفوضى القائمة في المضمون ، والصراع الذي تعانيه الشخصية الرئيسية نفسياً مع شخصية الأخ التوأم الذي يصغره بثلاث دقائق فقط ⁽¹⁾ من جهة ، ومع أبيه وأمه من جهة ثانية ، ناهيك عن ما يعانيه من كراهية للعم حسين .

فالفضاء النصي هو الذي يفصح عن هذه الصراعات الداخلية التي ترسم تحرك الشخصيات داخل هذا الإطار ، عابراً من الزمنية الحاضرة مسترجعاً ما أمكن من الأحداث للكشف عن الماضي ، والتقسيمات التي وضعها الروائي لنصه تكشف عن الفوضى التاريخية من خلال إيرادها للأزمنة ، فنجده يقسم الرواية إلى ثلاثة أجزاء ، وكل جزء يعبر عن فترة زمنية ، وكل فصل يحدد بحجم صفحاته ، وفق نوع الأحداث وتتابع آلياته ، ووقائعه الواقعية .

إلا أنني وجدت من خلال قراءتي للملفوظ الروائي ، أن الروائي قد وقع في عملية التكرار ، والتي كانت طاغية على أجزاء هذه الرواية .

الجزء الأول : 1988/10/10

(1) الرواية ص : 88

(2) المصدر نفسه ص : 12

حاول الروائي أن يعرفنا بشخصية أخيه التوأم الذي التقى معه في ساحة الأمير عبد القادر في وسط الركام والخراب ، والبطون المبقورة ، والفوضى التي كانت تعم المدينة ، وهو في طريقه إلى المستشفى يُسمعه هذا اللفظ فجأة " إذا كان ما تخافش من ربي خمم على الأقل في أمنا المسكينة اللي بقات تتعذب في قبرها على جالك ... " (1) ومن هذه اللحظة تسيطر عملية الأسترجاع وتطغى على سرد الأحداث.

ويصف لنا مظهر المدينة وهي غارقة ، مهزوزة انقلب أسفلها أعلاها ، وأعلاها أسفلها ، ثم يصف المستشفى وهي في شكل هستيري وكأنها تكنة تحولت ، أو إلى ترسانة أو حصن عسكري ، ثم ولج في أستعادة الذكريات :ذكريات فترة المراهقة ، فيرسم لنا صورة الجدة وهي في أحلى أبهتها ، حت صورتها أصبحت مفزعة مرعبة لأمه التي أتهمت بتهمة الزنا.

أمه التي دخلت في عالم صوفي حيث كان يقرأ لها من كتاب فصوص الحكم ، في حين كانت تفضل قراءة أشعار "رابعة العدوية" . وفينهاية الجزء نجده يقف على نفس العبارة الافتتاحية " إذا كان ما تخافش من ربي خمم على الأقل في أمنا المسكينة اللي بقات تتعذب في قبرها على جالك ...فأنت تكرهنا . " (2) ويعلن في الأخير عن كراهيته لتوأمه " فشعرت آنذاك بحقد رهيب يتصاعد من أعماق أحشائي على غرار ذلك الحقد الذي كنت أكنه له منذ ولادتي – ولعل ؟-

(1) الرواية ص : 12

(2) المصدر نفسه ص : 103/102

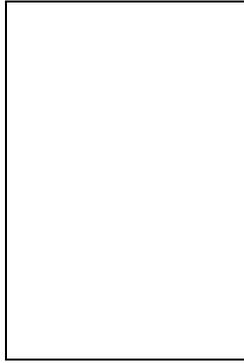
قبل ولادتي أي: ذلك الحقد اللابشري الكوني الفلكي الذي كان متواجدا في رحم الوالدة وهي تحملنا الأثنين معا وكأنه حقد راجع إلى فترة ما قبل التاريخ" (1)

وبناء على ذلك فقد جاء هذا الفصل في 98 صفحة مكتوبة ، وصفحتان مبيضتان، قد سجل على الأولى الجزء الأول 1988/10/10. وهو ما يوافق تلك الأحداث الدامية المدمرة التي غرقت فيها مدينة الجزائر في هذه المدة البزمنية ، وأما الثانية فبيضاء ، وكأنها إعلان عن نقطة محدودة في الزمان والمكان ، وسير الأحداث دل على تلك النقاط الثلاثة المتوالية التي ابتدأ بها الروائي نصه (...) إلى جانب البياض المتروك في أعلى كل صفحة منبداية كل فصل على النحو التالي :

مما يدل "مرور زمني أو حدثي،

وما يتبع ذلك أيضا من تغيرات

مكانية على مستوى القصة ذاتها" (2)



الجزء الثاني: 11\02\1956

وهو أقل أجزاء الرواية من حيث عدد الصفحات ، فبلغت عدد صفحاته 74 صفحة، بدأ وكأنه تكملة للجزء الأول ، كشف فيه الروائي عن الأحداث الدامية التي قام بها الثائرون ، أو المتمردون وهم يرفعون لافتاتهم وقد بسطت الآن طولا وعرضا ، فظهرت الشعارات عليها واضحة، بهمجية، فاقعة " نريد عملاً ولا ندير

(1) المصدر السابق ص : 106

(2) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ص : 58

كيف ماجر " (1) .

مشيراً إلى تلك الفوضى الناجمة عن الروائح الكريهة التي تنبعث من الجثث ، وهياكل الدبابات المحترقة ، وكلها عبارة عن خليط من الدم والقطران والغاز والبنزين ، واللحم المحترق والخراء والبول والقهوة المغلاة... مما يجعل المظهر يبدو لي غرار أنات وبكاء ونواح "قمر" زوجة أبيه العنابية التي لم تبلغ بعد أنوثتها ليلة العرس ، كما يروي عن رحلات أبيه المختلفة "حسان" طهران ، ليتفرغ لرواية قصة تلك الشخصية الشيوعية المناضلة ، رمز الكفاح والتحدي والكبرياء ، كيف سجن وعذبت ، ومدى علاقتها بزوجتها "بياً" BEA ورسائلها، وطريقة مشاركته في الجيش ، وصناعته للقتابل ، مكرراً بعض المواقف التي تطرق لها في الجزء الأول ، كتوجيه تهمة الزنا إلى أمه من قبل أبيه، وتغيير أحوالها بعد هذه التهمة .

وذكر في الأخير تلك اللية الأخيرة التي قضاها - قبل التحاقه بالمقاومة في المناطق الجبلية - مع الفتاة الفرنسية المتمردة "سليين"؟ ألين (1) ليسترجع تفاصيل تلك الفترة الصعبة التي قضاها في المناطق الجبلية حيث يمتزج الدم بالتضحية وبالوطن.

هذا الجزء قد كان تعبيراً عن الأحداث من قبل الروائي انطلاقاً من التاريخ المزدوج المحور في السرد الذي أعتقل فيه المنضل الشيوعي ، والذي اتهمت فيه أمه بالزنا ، فقد شغل تلك المساحة الفضائية النصية .

الجزء الثالث : 11\02\1957

(1) الرواية ص : 109

(2) المصدر نفسه ص : 154

هذا الجزء هو أطول الأجزاء وقد بلغت عدد صفحاته 120 صفحة ، وهو ما يعادل بالتقريب الجزئين السابقين ، لكن بعد قراءتي وتأملتي وجدت أن أغلب صفحاته هي تكرار لما جاء في الفصل الأول ، والفصل الثاني ونعرضهما كالآتي :

الصفحات المكررة في الجزء الثالث	الصفحات
مكرر من 260 إلى 288 الجزء 3	من 74 إلى 106 الجزء 1
مكرر من 220 إلى 235 الجزء 3	من 109 إلى 123 الجزء 2
مكرر من 244 إلى 260 الجزء 3	من 139 إلى 152 الجزء 2

ولو رسمنا الفضاء النصيل للجزء الثالث نجده قد احتوى على ستين صفحة مكتوبة في حين الباقي هو تكرار لما جاء في الجزئين الأول والثاني .

183 219 235 244 260 288 300

فكان هذا الجزء وكأنه تكملة تعبر عن عودته من المقاومة في المناطق الجبلية ، فعادت به الذكرى إلى " سلين " والرعبة الملحة في عودتها ، ولقائها ، لتتداخل الأحداث ، وتحدث فوضى عارمة بالذكريات .
تخبط العممة فاطمة تحت عربة الترمواي ، وحلة الطوارئ وصورة جدته الأسطورية ، ثم يصور لنا طريقة الوشاية وإلقاء القبض على المناضل الشيوعي

فيحال على المحاكمة ، فيحكم عليه بالإعدام تماشياً مع حالة الطوارئ والأحكام العرفية وحالة التلبس بالجريمة " (1) لينفذ الإعدام يوم 10/02/1957 .

وفي آخر هذا الملفوظ الروائي يخلص إلى موت أمه بعد هذا المناضل الشيوعي ، فقد توفيت منذ عشرة سنوات في إحدى الصبحيات المبكرة داخل غرفتها يقبلها قبل الإنصراف إلى الشغل ، فوجدتها " ميتة وقدت توفيت منذ ساعات أثناء الليل في عمق ليلا كانتى يداها مصقعتان ... وكأنها تقول لي : خذ بالك من أخيك الصغير وإن كان توأمك ... اعتني به رغم صعوبة مزاجه لأنه في العمق طيب ولطيف ... طبعه خاص فقط ، وهو صاحب نزوات وأطوار وطفرات لا أكثر طهلاً فيه . " (2)

وبناءً على هذه التقسيمات التي تتضح في الشكل التالي يتجلى لنا مدى تفاعل الفضاء النصي مع الأحداث .

الجزء	عدد الصفحات	الزمن التاريخي
الأول	100	1988\10\10
الثاني	74	1956\02\11
الثالث	120 منها 60 مكرر	1957\02\11

وبالنظر إلى سمك الكتاب ، و الذي يقاس عادةً بعدد الصفحات فإننا نجد مجموع الصفحات 294 صفحة لها ارتباط كبير بمضمون الحكى ، و 10 صفحات ليس لها ارتباط كبير بمضمون الحكى ، ومع ذلك لها أهميتها إذ " أنه أحياناً تحدد

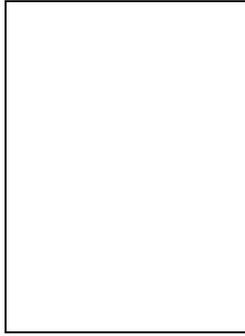
(1) الرواية ص : 236

(2) المصدر نفسه ص : 300/299

طبيعة تعامل القارئ إلى فهم خاص للعمل⁽¹⁾ فانطلاقاً من الغلاف الأمامي الخارجي للنص الروائي ، ودلالاته فإن الفضاء المكاني للصفحات لا يتشكل إلا عبر المساحة مساحة الكتاب وأبعاده ، وهو مكان محدود .
وإذا عرجنا على طبيعة الكتابة الأفقية داخل الملفوظ الروائي فإنها تشغل وسط الصفحة حيث تبدأ من اليمين إلى اليسار بشكل يبدو متوسط لهامشين متوازيين عن اليمين واليسار ، كما

يبدو في الشكل التالي :

ونشير إلى تلك العناوين غير المؤطرة داخل النص ، والتي تشير إلى فضاءات زمانية ومكانية مثل :



(3) طنبوكتو

1934\12\13

حسان

(2) طهران

1926\03\12

حسان

(1) براتيسلافيا

1937\04\12

حسان

ونخلص إلى أن تداخل أجزاء هذا الفضاء النصي يكمن في البرهنة عن تلك الفوضى الحاصلة ، وعن طبيعة الإتجاه الأيديولوجي ، وهو يعبر عن طبيعة الموضوع ، وعن مستوى المضامين والعلائق الكامنة بين الشخصيات مكاناً وزماناً .

(1) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص: 56

(2) الرواية ص : 28

(3) المصدر نفسه ص : 227/116

(4) المصدر نفسه ص : 270/85

3/ الفضاء الدلالي :

بعد أن وقفت عند المكان بفضائيه الجغرافي والنصي ، بلا شك نتحدث ن الفضاء الدلالي الذي أشار إليه " جيرار جنيت" والذي جعله ذا صلة بالصور المجازية وما لها من أبعاد دلالية (1) وهذا ما تناولته في الجانب النظري ، لأن اللغة الأدبية تحمل اللفظ عدة معاني مجازية ، فينشأ هذا الفضاء الدلالي بين مدلولها الحقيقي ، والمدلول المجازي .

وبما أن اللغة ذات صلة بالأفراد فإن توظيفها في السياق يجعلها محملة بالدلالات داخل الخطاب الروائي فيصبح المكان الروائي تقنية ذات مستويات دالة في بنائها ، يمكن استقصادها وتحديد أبعادها والتفاعل معها. (2)

وهذا ما يفضي بنا للوقوف على جملة من الأمكنة الدلالية داخل هذا الملفوظ الروائي ، فنجد قوله " منذ اللحظة الأولى التي التقينا بها في تلك الساحة الصغيرة في وسط المدينة ، وقد زرع في منتصفها تمثال ضخم لأحد أبطال المقاومة الوطنية ممتطياً فرسه ، مشهراً سيفه ، فبدا في حجمه أضخم من المجموعة النحتية نفسها التي ينتصب عليها . " (3)

هذا الخطاب المكاني المحمل بالدلالات والذي لا يعبر عنما هو كائن بل أيضا على ما كان سابقا ، فهو رمز للأنتصار والحرية ، وضخامته توحى بمكانته ، وقد مزج الوصف بالفاعلية ممتطياً فرسه ، مشهراً سيفه وكأنه يشير إلى حيويته التي

(1) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص: 60

(2) عبد الحميد المحادين " التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف " المؤسسة العربية

للدراسات والنشر ببيروت ، 1999 ، ط-1- ص : 85

(3) الرواية ص : 66

كان يتمتع بها؛ فهو ترجمة للماهية الثقافية والحضارية ، ويجسد سلوك أمة تجاه أبطالها فرسمه لهذه اللوحة الفنية المعبرة ليس من قبيل المصادفة ، بل هو سلوك نزوعي و ارادي في الوقت ذاته من قبل الروائي الذي حاول أن يجعل هذا السلوك يسند المكان "ويكسوه بذلك المستوى من الرمزية التي تكفل للإنسان حداً من التكيف عبر اختراقاته المكانية الزمانية ، وتحولاته الثقافية والروحية" (1)

فصورة الأمير عبد القادر على هذا النحو البديعي من التصوير يجعل القارئ يسترجع الأحداث ويستجلي الذكريات من خلال هذا الفضاء الدلالي ، ومن خلال فضاء ساحة الشهداء التي تتجاوز ذلك الرمز الفكري التاريخي إلى رمز يعبر عن الدماء الذكية الطاهرة ، يعبر عن شرف المدينة بتضحياتها الجسام ، فدلالة المكان تفارق اللغة لترتبط بالصورة الإحائية التي تشير إليها .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الفضاء في فوضى الأشياء مفتوح على التأويل إذ الأمكنة فيه تتمازج مع ذات السارد ، وهي مفعمة بالذكريات الحميمية ففضاء شجرة التوت الصامدة صمود هذا المجتمع ، والمتراكمة تراكما مخيفاً تراكم هذا المجتمع في البستان المنزلي " الذي تتوسطه والتي كان حجمها يغطي بكثافتها جميع الأحزان ، جميع الأحجام الأخرى المتواجدة في هذا المكان ، فتنتصب في الجومن خلال الظلمات المتراكمة تراكما مخيفاً مهولاً ، مأميماً كئيباً كأشباح متربعة متحدية ليس فقط ضوء المصباح الكهربائي ، بل وكل الأشياء المتراكمة المجاورة والمحيطه بي" (2)

(1) سليمان عشراطي ، الأدب العربي والرواية الجديدة ، تجليات الحداثة ، العدد -3- ص : 59

(2) الرواية ص : 27

هذا الثبات والتحدي رمز لتحدي هذا الشعب ، وتجاوزه صعاب الحياة رغم التراكمات فهو لا يزال صامداً.

ومن الأمكنة الدلالية ما نجده يرمز للحرية والطلاقة " وزارة الخارجية مثلاً أو إحدى الشركات الوطنية شركة الطيران" ⁽¹⁾ هذه الفضاءات التي توحى بالتطور الذي لم يلمسه التغيير " فكل البنايات والعمارات لا تزال واقفة على قواعدها ومصنفة تصفيفاً منظماً ، تحمل على واجهاتها إشارات تدل على اختصاصها : البريد المركزي ، البنك الوطني ، الولاية ، البلدية ، الخبازة ، مقهى الأحذية العصرية ، جزارة المستقبل ، الشركة الوطنية للسكك الحديدية ، الشركة الوطنية للطيران ، الشركة الوطنية للملاحة ، الشركة ... " ⁽²⁾ فهذه الجملة من الأماكن ذات اللوحات الإشهارية التي تعتبر رمزاً بحيث يمكن تمثل المكان بواسطتها لأنها أداة إيحائية دالة .

وتحيل صومعة المسجد أيضاً إلى دلالات إيحائية فهي تدل على مكان العبادة المسجد ⁽³⁾ لأن " صومعة المسجد التي بقيت معلقة في الفضاء الزرق وسط تهدم الأشياء من حوالها " ⁽⁴⁾ .

وبالرغم من الفوضى إلا أن الروائي صورها شامخة ، دالة على قيام المكان الذي تقام فيه العبادة الدينية المقدسة الصلاة .

(1) المصدر السابق ص: 09

(2) المصدر نفسه ص : 39

(3) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص : 109

(4) الرواية ص : 22

فالفضاء الدلالي هو فضاء توحى به اللغة اللامحدودة في سياقها ، واستجلائها للمعاني ، فالمكان يصبح موحياً إلى البعد الجغرافي الحسي ، والحيز الخلفي ، والمكان اللامحدود ، فيشكل ديكوراً منسجماً وإطاراً للأفعال والأحداث القائمة وعلى الصعيد الدلالي نجده يركن إلى الغموض ، وللعالم المجهول وهذا الارتباطه بالإنسان القارئ ، وبمدى ثقافته ودوره في بناء المجتمع ، وإدراكه لتلك العلائق المكونة له .

الخاتمة :

بنية الزمان والمكان من خلال هذه الدراسة ترسم لنا الفضاء السردي لهذا الملفوظ الروائي بكل معالمه المكونة له ، لما لها من أهمية في تشكيل النص الروائي .

فترسم بنية الزمان خطأ تصاعدياً متنامي في هذا النص الروائي، "فوضى الأشياء" قد كسر بها الروائي الزمنية التاريخية للأحداث ، معتمداً على الأسترجاع والاستذكار بل الاستباق أحياناً، معتمدا المنهج النفسي ، فزمان النص يترجم مستوى الوعي والنضج الفكري عند الروائي رشيد بوجدره.

فالتشكل الزمني للأحداث بهندستها الرائعة، وأشكالها المختلفة المسيطرة على فضاء العمل الروائي، تجعلنا نشعر بأننا أمام واقع زمني مرت به الجزائر ، زمن مضطرب، مهزوز تغمره الفوضى ، زمن الانتفاضة ، وزمن استرجاع الحرية ، وزمن الصمود، والموقف للرجل الجزائري أبان الثورة التحريرية وبعدها.

فيرصد رشيد بوجدره اللحظات المؤلمة التي مر بها المجتمع الجزائري، وسكان العاصمة بالتحديد، فيعبر عن التحول و الرفض والتحدي، واللحظات البطولية المعبرة عن البسالة والتضحية التي قدمها الجزائريون من أجل هذا الوطن المفدى، فيوجزها أحياناً ، ويفصلها متذكراً الزمان الماضي زمن الحرب والثورة ، وزمان الواقع زمان الانتفاضة والتظاهرات التي غمرت البلاد معلنة الرفض و التحدي .

وبذلك فقد كشف الزمان عن مستوياته الخارجية ، تلك الأزمنة الثلاثة المؤطرة للعمل الروائي ، وعن زمنيته الداخلية ، فيعبر عن الثورة على الواقع السياسي السائد من جهة ، والأوضاع الاقتصادية من جهة أخرى ، فيعود للماضي فيعبر

عن الثورة ضد الاستعمار الفرنسي ، وهذه الثورة المسيطرة على العمل الروائي من بدايته إلى نهايته تشكل تحدي اجتماعي عرفته الجزائر قبل الاستقلال وبعده . وينبعث الزمان أيضا من خلال صورة المناضل الشيوعي الفرنسي الأصل الذي تحدى المستعمر، وضرب نموذجا للنضال من أجل القضية الجزائرية، بعد أن شاهد الضابط الفرنسي يطلق النار على صبي في دشرة ولم يستطع أن ينسى هذا المشهد،فالتحق بالثورة ، والقي القبض عليه، وحكم عليه بالاعدام .

وهكذا يمكن أن نقول بأن مستويات الزمان داخل الملفوظ الروائي "فوضى الأشياء " تركز على تلك الدلالات التاريخية و الاجتماعية المحملة بالايديولوجيا الفكرية للمجتمع الجزائري في المدة الزمنية المؤطرة في النص، والتي تعكس الوعي الاجتماعي في ثورته على الأوضاع الاقتصادية، والسياسية التي كبل بها في الزمن الحاضر، وفي ثورته على المستعمر الذي سلب منه حريته في الزمن الماضي.

ولهذا يبقى الزمان هو البنية الأساسية للسرد، فلا يمكن للأحداث أن تقع إلا في اطار زماني ومكاني محددين .

ويمثل المكان عند الروائي " رشيد بوجدره" الفضاء المفتوح الذي يمثل أكثر دوائر الرواية مهارة ، فتصبح الأمكنة عنده بكل أشكالها - المفتوحة والمغلقة والمحدودة واللامحدودة - تمثل منبسطا فسيحا مرنا ومركبا يحمل كل تلك الفوضى التي مورست على المدينة من قبل البشر ، وامكنة شاهدة تهيمن على حكايا البشر . فالأمكنة عنده محملة بدلالات تاريخية للأمة الجزائرية ، والمتأرجحة بين تلك التواريخ المحددة للفترة الزمنية ، كما أنها تمثل ذلك الأنفتاح الثقافي بكل أبعاده

لل فرد الجزائري في تحركاته (مدريد ، طنبوكتو ، جونييف ، ...) فكلها ساهمت في خلق تقنية السرد الإنسيابي والتراكمي لهذا الملفوظ الروائي .
وتستدعي السردية عند الروائي للأحداث ، الأمكنة والأزمنة، التي يكتمل بها العمل الروائي،بالإضافة إلى الشخصيات التي تسيطر على الراوي في حركتها مما يؤدي إلى تشكل المكان والزمان في اطارهما تشكلاً فنياً ، مما يعكس ابداع الروائي للفضاء الملائم للأحداث التي يعالجها ،انطلاقاً من فوضى الأزمنة إلى فوضى الأمكنة.

ويكمل الزمان المكان ، فتنتهض فيهما الفوضى متحركة ، فالمكان هو الفضاء الحامل للأحداث ، يشكل اطارها الجغرافي بل يصنعها احياناً ويبعث الحياة والحركة فيها، فيتعاضم دورها الفعلي في رسم المعالم المكونة للملفوظ الروائي ممتزجة بالازمنة التي جرت فيها الوقائع والأحداث.

فقد شكل كل من الزمان والمكان عند الروائي "رشيد بوجدره " في روايته - فوضى الأشياء - تفاعلاً في السيرورة الحكائية السردية ، فهما عاملان اساسيان يحملان الموروث الثقافي، والمقومات الوطنية: ثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية تجعل من هذا الملفوظ الروائي محورا أساسياً للتجربة الروائية الجزائرية من جهة ، ومرجعاً تاريخياً لتلك المرحلة الزمنية العصبية التي مرت بها الجزائر .

ملحق المصطلحات

تثبيت قائمة المصطلحات المستعملة بكيفية مباشرة أو غير مباشرة في الرسالة

أ	
Litteralité	أدبية
Connexion	ارتباط
Anticipation prolepse	استباق
Paradigmatique	استبدالي
Retrospection	استرداد
Conclusion	استنتاج
Style	أسلوب
Indices	إشارات
Allipse	إضمار
Arbitraire	اعتباطي
Horizontale	أفقي
Harmonie	انسجام
Extraverte	انفتاح
Emotive	انفعالية
ب	
Focalisation	بؤرة / تبئير
Structuration	بناء
Structurel	بنائي
Structure stucturalisme	بنية تركيبية
Structure narrative	بنية سردية
Structure de surface	بنية سطحية
Micro- structure	بنية صغرى
Structure profonde	بنية عميقة
Macro- structure	بنية كبرى
Structural	بنوي
ت	
Interprétation	تأويل
focalisation interne fixe	تبئير داخلي ثابت

focalisation interne multiple	تبيؤير داخلي متعدد
focalisation interne variable	تبيؤير داخلي متنوع
Juxtaposition	تجاوز
Analyse	تحليل
Interference	تداخل
Syntagmatique	تركيبية
Syntaxique	تركيبي
Expression	تعبير
Enonciation	تلفظ
Coordination	تنسيق
Fréquence	تواتر
Communication	تواصل
Distribution	توزيع
Distributionnelle	توزيعي
Exponcion verbale	توسّع لفظي
ج	
Esthétique	جمالية
Substance	جوهر
ح	
Motif	حافز
Etat	حالة
Evenement	حدث
Narratif	حكائي
Récit	حكاية
خ	
Discours	خطاب
Discours connotatif	خطاب إيحائي
Discours narratif	خطاب سردي
Discours personnel	خطاب شخصي
Discours narrative	خطاب مسرود
Discours rapporté	خطاب منقول

د	
Signifiat	دال
Signification	دلالة
Sémantique	دلالي
ر	
Vision	رؤية
Représentés Narrateurs	رواية دراميون
Narrateurs non représentés	رواية غير دراميين
س	
Narrateur	سارد
Narrateur homodigétique	سارد مشارك
Narration	سرد
Narratif	سردي
Prolepses	سوابق
Contexte	سياق
Sémiotique	سيمياثية
Simiologique	سيمبولوجية
ش	
Poétique	شعرية
Forme	شكل
Formaliste	شكلائي
ص	
Figure	صورة
Formulation	صياغة
Modalité	صيغ
Modèle	صيغة
ع	
Actant	عامل
Présentation	عرض
Relation	علاقة
Relation symbolique	علاقة رمزية

Signe	علامة
Vertical	عمودي
ف	
Actant	فاعل
Espace	فضاء
Acte	فعل
Narrateurs Agents	فواعل ساردون
ل	
Linguistique	لسانيات
Langage	لغة
م	
Auteur implicite	مؤلف ضمني
Fable	متن حكائي
Domaine	مجال
Abstrait	مجرد
Immanet	محايشة
Interlocuteur	مخاطب
Signifie	مدلول
Distinateur	مرسل
Distinataire	مرسل إليه
Narré	مروي
Narrataire	مروي له
Distance	مسافة
Narré	مسرود
Scène	مشهد
Terme	مصطلح
Contenu	مضمون
Sens	معنى
Concept	مفهوم
Approche	مقاربة
Séquen cenarratives	مقطوعة سردية

Constituant	مكوّن
Purs observateurs	ملاحظون خالصون
Enonce	ملفوظ
Enonce narratif	ملفوظ سردي
Acteur	ممثّل
Perspective	منظور
Morphologie	مورفولوجية
Sujet	موضوع
Situation	موقع
ن	
Texte	نص
Système	نظام
Théorique	نظري
و	
Point de vue	وجهة النظر
Motivations	وحدات
Unité	وحدة
Fonctions mixtes	وظائف مختلطة
Fonction	وظيفة
Fonction informative	وظيفة اخبارية
Fonction cardinale	وظيفة أساسية
Fonction testimoniale	وظيفة الشهادة
Fonction référentiel	وظيفة انطباعية
Fonction emotive	وظيفة انفعالية
Fonction d' idéologique	وظيفة إيديولوجية
Fonction explicative	وظيفة تفسيرية
de Fonction Régie	وظيفة توجيهية
Fonction catalyse	وظيفة ثانوية
Fonction noyau	وظيفة مركزية

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الحديث النبوي الشريف
- رشيد بوجدره "رواية" فوضى الأشياء" دار يوشان للنشر الجزائر 1991 د/ط
- ابراهيم جندي "الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا" دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 2001 د/ط
- إبراهيم عباس "تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية" دراسة في بنية الشكل المؤسسة الوطنية للاتصال الجزائر 2002 د/ط
- ابن منظور "لسان العرب" تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، دار لسان العرب بيروت لبنان د/ت، ط 3، 2004
- آلان روب جريبه "نحو رواية جديدة" ترجمة: محمد إبراهيم مصطفى، تقديم لويس عوض، دار المعارف بمصر د/ت، ط 1
- الزمخشري "تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" عناية وتخريج: خليل مامون شيخا، دار المعرفة بيروت لبنان 2002، ط 1
- بحرأوي حسن "بنية الشكل الروائي" المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء 1999، ط 1:
- بشير بويجرة محمد "بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري" الجزء الأول، منشورات دار الأديب 2008، د/ط
- "بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري" الجزء الثاني، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر 2002/2001، د/ط
- بيرسي لوبوك "صناعة الرواية" ترجمة: عبد الستار جواد، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان دار الرشيد للنشر بغداد 1980 د/ط

- تزفتان توروروف، رولان بارث ، امبرتواكسو، مارك انجينو، " في اصول الخطاب
النقدي الجديد" ترجمة : احمد المدني ،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1987 ط: 1
- حميد لحميداني " أسلوبية الرواية " مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، المغرب
1989 ، ط : 1
- " بنية النص السردي " من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي
العربي الدار البيضاء 1963 ط : 1
- " الرواية المغربية ورؤية الواقع المغربي " — الدار البيضاء
دار الثقافة المغرب 1985 ط: 1
- جورج لوكاتش " الرواية " ترجمة : مرزاق بقطاش المكتبة الشعبية ، الشركة
الوطنية للنشر والتوزيع ط 1
- ساروت نتالي الرواية والواقع. ترجمة : رشيد بن خدو عيون المقالات الدار
البيضاء 1988 ط : 1.
- سعيد يقطين " تحليل الخطاب الروائي " (الزمن ،السرد، التبئير) المركز الثقافي
العربي بيروت 1989 ط : 1.
- " القراءة والتجربة " (التجريب في الخطاب الروائي الجديد) دار الثقافة
سالة المغرب 1985 د/ط .
- سمير المرزوقي ، جميل شاكر " مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً " الدار
التونسية للنشر — ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر— د/ت ، د/ط.
- سمير روجي الفيصل " بناء الرواية العربية السورية " (1980،1990) ، منشورات
اتحاد الكتاب دمشق 1995 د/ط.
- سيزا قاسم " بناء الرواية " الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1984 د/ط.

- شجاع مسلم الغاني " البناء الفني في الرواية العربية في العراق " الوصف وبناء المكان ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 2000 د/ط.
- عبد الجليل مرتاض " البنية الزمنية في القص الروائي " ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر 1993 د/ط .
- عبد الحميد المحادين " التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف " المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1999 ط :1.
- عبد الصمد زايد " مفهوم الزمن ودلالاته " الدار العربية للكتاب تونس 1988 د/ط
- عبد العظيم زكي الدين بن عبد القوي المنذري " مختصر صحيح مسلم " تحقيق وتعليق د/ مصطفى ديب البغا ، دار الهدى عين مليلة الجزائر د/ت ، د/ط.
- عبد المالك مرتاض " في نظرية الرواية " — بحث في تقنيات السرد — دار الغرب للنشر والتوزيع وهران 2005 ط :1
- " فن المقامة في الأدب العربي " المؤسسة الوطنية للكتاب الدار التونسية الجزائر.تونس 1989 د/ط
- غاستون باشلار " جماليات المكان " ترجمة :غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 1996 ط:4
- غسان اسماعيل عبد الخالق " (الزمان ، المكان ، النص) " اتجاهات في الرواية المعاصرة في الأردن (1990/1980) المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1993 د/ط.
- فيصل درّاج " نظرية الرواية و الرواية العربية " المركز الثقافي العربي ط 1
- لالاند " موسوعة لالاند الفلسفية " تعريب خليل أحمد خليل ، إشراف أحمد عويدات منشورات عويدات بيروت باريس 2001 ط :2
- محسن جاسم الموسوي "عصر الرواية "مقال في النوع الأدبي الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1986 د/ط

— ميخائيل بأختين " الملحمة والرواية " ترجمة : د/جمال ثعيد سلسلة الدراسات اللغوية والأدبية

" أشكال الزمان والمكان في الرواية " ترجمة : يوسف حلاق ،

منشورات وزارة الثقافة دمشق 1990 د/ط.

— ميشال بتور " بحوث في الرواية الجديدة. " ترجمة : فريد أنطونيوس منشورات

عويدات بيروت باريس 1982 ط : 2

الدوريات والمجلات

— مجلة الف عدد " مشكلة المكان الفني " ترجمة : سيزا قاسم يوري لوتمان

العدد (6)

— تجليات الحداثة مجلة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها جامعة وهران العدد

الثالث يونيو 1994م عدد خاص بالرواية الجديدة

— مجلة الوحدة مجلة فكرية ثقافية شهرية تصدر عن المجلس القومي

للثقافة العربية السنة الخامسة عدد 49 تشرين الأول أكتوبر 1988

— مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية " سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية "

المجلد (27) العدد (1) 2005 نشر في 2005/10/11

— مجلة التبيين الجاحظية الجزائر العدد (9) 1995

— مجلة كتاب الرياض " شعرية المكان في الرواية الجديدة — الخطاب الروائي —

لأدوار الخراط نموذجا العدد (83) أكتوبر 2000.

الرسائل الجامعية :

- إبراهيم فواتيح عبد الرحيم " بلاغة الالتفات في الخطاب القرآني " رسالة ماجستير
إشراف "سليمان عثراتي " جامعة وهران السنة الجامعية 2006/2005
- عبد القادر بن سالم " البنية السردية في الرواية المغاربية الجديدة " رسالة ماجستير
إشراف " عبد المالك مرتاض " السنة الجامعية 2007/2006.
- لحسن كرومي " جماليات المكان في الرواية المغاربية " رسالة دكتوراه الدولة
إشراف " عبد المالك مرتاض " السنة الجامعية 2006/2005
- قادة مبروك " رشيد بوجدرة في ضوء المؤثرات الأجنبية " – معركة الزقاق
نموذجاً – رسالة ماجستير في الأدب المقارن إشراف بن عبد الله لخضر
السنة الجامعية 1997م.

المراجع الأجنبية :

- * Bourneuf et Rouellet - L' univers du Roman – P.U.F .1981.
- * Butor, Michel, L'espace du roman , Répertoire II, Minuit, Paris, 1964.
- * Genette .gérard -.figures.3 - seuil paris 1972
- * Gold Enstein .-poulire Le Roman edition. Duculot .Paris Louvain La neuve
1989.
- * Jean Ricardou -Problèmes du nouveou roman - seuil tel quel 1967
- * Lucien Goldman Pour une sociologie du romoned Gallimord 1963
- * Mourice Blanchot –Le Livre a venire Gollimard – Paris 1959
- * Ricardou et autres, Nouveau roman , U.G.E, Paris, 1972

الفهرس

- الاهداء.....ص
- مقدمة.....ص أ / خ
- المدخل.....ص 1-12
- الفصل الأول...بنية الزمان في الخطاب الروائي.....ص: 13**
- بنية الزمان الروائي.....ص: 16
- 1/ زمن القصة.....ص: 17
- 2/ زمن السرد.....ص: 18
- 3/ زمن النص.....ص: 18
- التداخل بين الأزمنة.....ص: 24
- 1/ الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.....ص: 27
- 2/ الرجوع عن الفعل المضارع إلى فعل الأمر.....ص: 27
- 3/ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي.....ص: 28
- 4/ التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.....ص: 29
- الفصل الثاني..بنية المكان في الخطاب الروائي.....ص: 34**
- أنواع الأمكنة.....ص: 35
- 1/ الفضاء الجغرافي.....ص: 36
- 2/ الفضاء النصي.....ص: 37
- 3/ الفضاء الدلالي.....ص: 38
- 4/ الفضاء كروية.....ص: 40
- دلالة المكان.....ص: 41
- 1/ المكان وعلاقته بالمضمون.....ص: 41
- 2/ المكان وعلاقته بالسرد.....ص: 42
- 3/ المكان وعلاقته بالوصف.....ص: 45
- التشكل المكاني.....ص: 47
- الفصل الثالث بنية الزمان والمكان في رواية فوضى الأشياء.....ص: 50**
- دلالة العنوان.....ص: 51
- 1/ بنية العنوان.....ص: 51
- 2/ علاقة العنوان بالنص تركيبياً.....ص: 53
- 3/ علاقة العنوان بالنص دلالياً.....ص: 55

- دلالة بنية الزمان في النص الروائي.....ص: 60
- 1/ دلالة بنية الزمان التاريخي ص : 63
- 2/ دلالة بنية الزمان الاجتماعي ص : 66
- النظام الزمني وعلاقته بالأحداث.....ص: 72
- 1/ زمن السرد ص : 72
- 2/ زمن القصة ص : 72
- مستويات الأمكنة في رواية فوضى الأشياء.....ص : 83
- الفضاء الجغرافي ص : 83
- الفضاء النصي ص : 93
- الفضاء الدلالي ص : 100
- الخاتمة.....ص : 104**
- ملحق المصطلحات.....ص : 108**
- قائمة المصادر والمراجع.....ص : 115**
- الفهرس ص : 121**